مجلة جامعة الملك سعود، م17، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (2) ، ص ص 997-1052
(1425هـ/2004م)

البر في القرآن وأثره في حياة المكلفين

إدريس حامد محمد علي

أستاذ التفسير المساعد، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود،

الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في 1424/8/18هـ، وقبل للنشر في 1425/1/4هـ)

ملخص البحث. خلصت الدراسة إلى بيان أن البر عقيدة، وشريعة، وسلوك، وإيمان، عبادة، وخلق. قول وعمل واعتقاد، إنفاق وإشفاق، صبر ووفاء، صدق وورع، اسم جامع للطاعات المقربة إلى رب البريات. فإذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، فيدخل فيه كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات، ولذلك فسّر بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وأكّدت أنه مطلوب لذاته، لما فيه من كمال العبد وصلاحه، الذي لا صلاح له بدونه لكثرة منافعه، وجمعه لجميع خصال الخير ومقومات الدين في الدنيا والآخرة. وقفت الدراسة على بيان مفهومه، ودلالاته، وعلاقته بالتقوى، وتسمي الله به، ومجالاته، كما وقفت على صفات الأبرار ومكانتهم وجزائهم، ثم ختمت بالآثار المترتبة عليه . وانتهت الدراسة إلى نتائج منها:

1- ورد مصطلح البر في القرآن في 20موضعا،اشترك مع التقوى في7منها مع تقدّمه عليها في ست منها.

2- إنّ البر طريق موصل إلى الجنة.

3- إنّ البر يتحقق به زيادة في العمر، وبركة في المال والولد.

4-تحصل به السعادة في الدارين:لحصول الطمأنينة للنفوس في الدنيا والسلامة من العذاب في الآخرة.

5- يحقق محبة الله لعباده البررة والتي توصلهم المكانة الرفيعة في الأخرى.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الجنة دارا للأبرار، والصلاة والسلام على خير البرية، أفضل من صلى وصام وحج وقام، أبر هذه الأمة قلوباً، وأصدقها لهجة، وأفصحها لسانا،صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وبعد.

ليس للبر مكانة أعلى من أن يصف بها المولى - عز وجل- ذاته العليّة لأن من أسمائه الحسنى (البّر) ومن عظيم صفات البررة أنه مدح بها أنبياءه كما مدح بها ملائكته المسبحة بقدسه في قوله تعالى: ﴿ ☎🗁⌛◑ ☒↑⌖⊙⌖✪⌖❄⑩ ✡☮⌘⑤⌖✪✡🖉 ﴾ عبس :16 وأثنى تعالى على عباده المتصفين بصفة البر بالثناء الحسن وجعل لهم عظيم المكانة في الآخرة . وأعد لهم النزل من عنده وأن ما لهم عنده خير عظيم لا يقادر قدره، ولا يطاق وصفه مما لم تره العيون، ولم تسمعه الآذان ومما لم يخطر على خاطر أحد من البشر .

إن البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله تعالى به كما أن مسماه يكون مسمى التقوى،ويكون مسمى التقوى مثل مسمى البر، فيدخل فيه كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والاعتقادات، وقد تكرر ذكر مصطلح البر في القرآن في (20) موضعا. وللتعرف على مصطلح البر في القرآن لابد من تدبر كتاب الله تعالى لنرى كيف جعل الله البر منتهى الأماني والسعي الجاد للمؤمنين بالله تعالى

إن اللافت للنظر في آيات البر في القرآن وجود آية عظيمة تسمى آية البر جمعت كل ما يتعلق به من أصول وفروع، فجاء فيها تفصيل دقيق وعميق للبر، فذكرت أنواعه ومجالاته التي يعنيها الإسلام، ويدعو أتباعه إليها رافضة على من زعم أن البر يتحقق بالتوجه إلى جهة مخصوصة في الصلاة، ومؤكدة أن التوجه بحد ذاته ليس براً وإنما المقصود من البر مناجاة الحي القيوم، وإيثار الإنسان غيره على نفسه بالمحبوب من المال مع التأكيد على صلات ذوي القربى وغيرهم فيحقق الأبرار عبادة الخالق ومعاملة الخلق بتوازن تام مع عدم إغفالهم متطلبات أرواحهم وأجسادهم .

إن الدافع الذي دفع الباحث إلى هذا الموضوع هو النظر والتأمل في مصطلح البر من خلال نصوص القرآن، لأنه في شموله، وعمق مدلوله، وتوسع معانيه، وسمو مكانته، لم يحظ بمكانة مرموقة من الباحثين لا في المناهج والتناولات، ولا في التطبيق في السلوك والواقع .

مشكلة البحث : انحسار مفهوم البر من معناه الواسع في معان وقوالب ضيقة تتمثل في بر الوالدين، والأبناء، والبر بالفقراء، بما تقوم به جمعيات البر الخيرية من أعمال .

حدود الدراسة : السعي إلى فك هذا الانحسار من المعنى الضيق إلى المعاني الواسعة للعودة به إلى سعة مفهومه الواسع، وعمق مدلوله الشامل .

أهمية البر في القرآن

ذكر الله البر في القرآن في عشرين موضعا، من هذه المواضع آية عظيمة وردت في سورة البقرة من أطول الآيات التي تحدثت عن البر وبيّنت أهميته، ومجالاته، وأنواعه فهي بحق كانت من الآيات الجامعة في القرآن قال عنها ابن كثير: من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله [1، ج1، ص282] .

وقال غيره من عمل بهذه الآية فقد كمل إيمانهم، لأنهم صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم بأعمالهم [2،ج1ص108] وذلك لأنها اشتملت على أحكام متعددة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وأكدت أن التكافل بين المسلمين حق مفروض يجعلهم كالبنيان المرصوص . وبينت الآية أن المؤمن بعقيدته وإيمانه وصدقه يواجه شدائد الحياة، ويستعين بالصبر على البأساء والضراء وحين البأس على ملمات الحياة، ولذلك قال القرطبي: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام، لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة [4،ج2، ص241] ثم بيّن تلك القواعد من الإيمان بالله .... إلى الصدق والتقوى . ومما يدل على أهمية البر في القرآن فقد تكرر ذكره في عشرين موضعا، منها ما جاء مقرونا مع التقوى في سبعة مواضع، وقدم البر عليها في ستة مواضع منها :﴿ ولكن البر من أتقى ﴾، ﴿ أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾، ﴿

وتناجوا بالبر والتقوى ﴾، ﴿ وتعانوا على البر والتقوى ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

مفهوم البر ودلالاته

البر كلمة قليلة الأحرف، كبيرة الأثر، جميلة الوقع واسعة المعنى، ثلاثية الأحرف، تركبت من الباء، والراء المكرر اللذان يدلان على السعة والامتداد [5، ص25] والعمق والاستقرار، فهي كلمة جامعة شاملة تشمل كل ما من شأنه أن يوصل إلى مرضات الله تعالى .

مفهوم البر

البر : باؤها مثلثة، بَر، بُر، بِر وتدل على معانٍ متعددة :

1- البَرّ - بالفتح ـ خلاف البحر[6،ص47] ويظهر فيه التوسع.

2- البُرّ ـ بالضم ـ الحب المعروف في الغذاء (القمح) لأنه أوسع ما يحتاج إليه في الغذاء[7،ص114]

3- البِرّ ـ بالكسر ـ الإحسان ـ ويظهر فيه التوسع في فعل الخير [7،ص114] .

4- البَرُّ ـ بالفتح ـ من أسماء الله تعالى، أي فاعل البر وهو المحسن، والبر الذي بصدد الحديث عنه هنا هو البِرّ : بكسر الباء ـ مصدر مأخوذ من (ب رر) وهو في الأصل اسم لما يحصل به للمبرور النفع [8،ص190] كما يطلق البر على الصلاح، الخير، الإحسان، الصدق [9،ج1ص384] الطاعة، الصلة، التقوى، الجنة، صلة الأرحام، حسن الخلق.

وقد ذكر أهل التفسير أن البر في القرآن على ثلاثة أوجه [10،ص215]:

1- البـــــر: الصـــــلة قـــــال تعـــــالى: ﴿ ... ⑤✞☺➲
❸❄✦➔ ♊♋♦↙➔✈♦⊙✦♓❄✦❸❄♦✈✦◻➘✲☼◷✲☼➚✞❖☠
⑤✞⌧✠♦⑤♊"♊➚✠➢🕮⇔ ﴾ الممتحنة: 8

2- البر : الطاعة قال تعالى : ﴿ ⑤⍁⌧✞⌦✦ ⑤✍⌧✠✲⊙✠
➔✦⑤✍⌧❷✞✠◻➘✦✓◆ ﴾ المائدة : 2 .

3- البـر: التقـوى قـال تعـالى: ﴿ ⑤✞☺❸❄⌖⑥🖫☺➔⧫❍⧫ ⑤🏳✞❶⌧✍⑥✡❄⑩ ⇨▪⑥✈✡⊙✡✠🖫⌧✍⑥ ⌖➔⧫❄❸❶⌖⮝⇦➢☼🏳⌖⧫ ⑤✞☺←🖋⧫⮝⌖❄⌖➲⇦ ﴾ البقرة : 42 .

ومما جاء في بيان أوجه البر في السنة قوله صلى الله عليه وسلم (البر : حسن الخلق) [11،ج4 ص1980 برقم] [1]

وقوله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [12،ج2 ص629][2] أي الذي لا يخالطه شيء من المآثم .

وقوله (البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب) [13،ج4 ص228] [3]

وبهذا نعلم أن البر في اللغة يطلق على كل اسم جامع للخير .

البر في الاصطلاح : اختلف العلماء في تعريف البر الاصطلاحي اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد فمنهم من قال : البر: الصلاح، ومنهم من قال : البر: الخير [14،ج1 ص116-117] ومنهم من قال : البر : خير الدنيا والآخرة، ومنهم من قال : البر : سعة الإحسان والخير الكامل [15،ج2 ص128] .

لكن أجمع تعريف له من قال البر كلمة جامعة لكل أصناف الخير [5،ج2 ص238] .

فالبر في الاصطلاح : هو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من صالح الأعمال وفاضل الأخلاق.

في كل هذه المعاني اللغوية يتبوأ المفهوم الإسلامي للبر مكانة عالية فتتعدد معانيه ويتوسع مفهومه حتى يقترن بكل فعل خير وقول حسن، واعتقاد سديد .

ومن هنا ندرك أن البر بالنسبة للعبد هو جماع الخير الذي يشمل المعاني النفسية، والأخلاق الحسنة، وما ينشأ عنهما من أعمال صالحة

---

(1) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم ، رقم 2553 .
(2) أخرجه البخاري في أبواب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها، 629/2، رقم 1683، ومسلم في الحج، باب في فضل الحج والعمرة، 983/2 رقم 1349.
(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند 269/5، والدارمي في سننه 696/2.

طيبة يتقرب بها العبد إلى ربه، وأما بالنسبة إلى الله فهو الثواب والرضا والمحبة الإلهية.

وقد كان العرب يفهمون معنى البر على هذا الوجه، ويدركون أن كل عمل صالح أو نية طيبة أو خلق مرضي شعبة من شعب البر[3، ص80] .

معاني البر ودلالاته

من معاني البر

1- هو كل فعل مرضٍ [16، ص36] .

2- سعة الخير والمعروف: ﴿ ﴾ آل عمران: 92 .

3- اسم جامع لأعمال الخير [17،ج1 ص54]

4- تصديق اليمين لقوله تعالى : ﴿ ﴾ البقرة : 224.

5- البر : التقوى ﴿ ﴾ البقرة : 189.

6- البر : حسن الخلق (البر حسن الخلق) (4).

7- البر : بمعنى العبد البار ﴿ ولكن البر من أمن بالله ﴾ البقرة : 177.

8- البر : الطاعة والعبادة [14،ج1 ص116] .

9- البر : الوفاء بما جعل على نفسه [17،ج1 ص117]

10- البر : سعة الإحسان، وشدة المرضاة، والخير الكامل الشامل، لذلك توصف به الأفعال القوية الإحسان، فيقال بر الوالدين، وبر الحج [15،ج2 ص128] .

(4) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم 1980/4 رقم 2553.

11- بر العبد ربه: بحسن المعاملة في تلقي شرائعه وأوامره [15،ج2 ص128] .

12-إن البر:عطاء وإسداء للمعروف، ومبالغة في الإحسان القاصر على النفس والمتعدي إلى الغير .

13- البر : الجنة لأن بر الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة [22،ج3 ص347] .

إن دلالات البر في القرآن لا تقتصر على أمر واحد بل تتعدى ذلك إلى جهات مختلفة وأنواع متعددة فارتبط البر بالإيمان الصحيح حتى صارت أصول الإيمان عنوان البر ودلالة عليه كما ارتبط البر بالعمل الصالح من إنفاق وصلاة وزكاة ووفاء واتصل كذلك بكمال الأخلاق وتهذيب النفس وترتيبها على محبة الخير وفعله كما ارتبط قول البار بفعله فلا ينفصل أحدهما عن الآخر . إن دلالات البر شملت كافة وجوه الخير مما يمكن أن يقوم به إنسان في هذه الحياة كما يتبيّن من هذا الشمول : أن سائر أعمال بني آدم يمكن أن تكون موضوعا للبر .

إن البر يتجاوز العبادات إلى العادات ويحولها إلى عبادة ينتفع الأبرار ببرها وثوابها كما أن الأبرار يعملون في ثلاث اتجاهات يتحقق فيهم بر الإنسان بالإنسان عندما يبرون بإخوانهم، ويتحقق فيهم برهم بأنفسهم عندما يقيموها على الجادة، ويتحقق فيهم بربهم بتقواه وطاعته وتلقي شرائعه فما أوسع دلالات البر وما أحوج أمم الأرض إليه برهم وفاجرهم حتى يزداد الأبرار برا ويتخلى الفجار عن فجورهم ويلحقوا بالأبرار .

العلاقة بين البر والتقوى

عرفت البر معناه ودلالاته فما هي التقوى؟

التقوى مأخوذة من وقي أصل تائها واو، الواو فيها بدلُ من الياء . تقول وقاه الله وقيا ووقاية: صانه والوِقاءُ، الوَقاء والوقاية والوقاية، والوقاية كل ما وقيت به شيئا .

ففي الصحاح ووقاه الله وقاية بالكسر أي حفظه [18،ج6 ص2527]وفي معجم المقاييس الواو والقاف والياء كلمة واحدة تدّل على دفع شيء عن شيء، ووقيته أقيه وقيا والوقاية ما يقي الشيء [19،ج6 ص131.] .

وفي اللسان : وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته من الأذى ... والاسم : التقوى التاء بدّل من الواو والواو بدّل من الباء [20،ج15 ص403].

فالتقوى في اللغة اسم مرادف للتقية، ومثلهما تقاة، وفعلها الماضي اتقى [9،ج4 ص401] فيكون محور مادة التقوى الذي يدور عليه فروعها هو الكلاءة والحفظ والرعاية، والصيانة والحماية والحذر لأن المتقي يحترز مما اتقاه .

وهذا هو معنى التقوى اللغوي بإيجاز، أما في الاصطلاح : فقد تعددت تعريفاتهم لها عرفها الراغب : حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور [7، ص881] و[21، ص265] .

وعرفها البيضاوي : استفراغ الوسع للقيام بالواجب واجتناب المحارم [16،ص84].

وعرفها ابن مسعود : أن يطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى [22،م3،ج4، ص28] .

وعرفها طلق بن حبيب : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله [23، ص11] .

كل هذه التعريفات وغيرها ذكرت في التقوى، لأنها يتحقق بها الكمال البشري بصيانة النفس وحمايتها وحفظها من كل ما يضر ويؤذي، ففيها كمال توقي الإنسان مما يضره بفعل المأمورات وترك المحذورات التي تستوجب غضب الله تعالى فالمتقي هو كل من استقام على طريق الإيمان والإسلام ووقف عند حدودهما .

فقد ذكر الله التقوى في القرآن في أكثر من 258 موضعا .

وذكر البر في القرآن في أكثر من 20 موضعا .

وجمع تعالى بين البر والتقوى في 7 مواضع، قدم فيها البر على التقوى في ستة مواضع. أما الآية الوحيدة التي قدم الله فيها التقوى على

البر فكان في آيتين متتاليتين وليس في آية واحدة فالبر كان أخص من التقوى لأنه يتناول بر الوالدين وهو من التقوى لأن التقي يبر والديه كما يبر ربه .

إن بين البر والتقوى تلازما يكاد يكون دائما لأنه إذا أطلق البر كان مسماه التقوى وإذا أطلقت التقوى كان مسماها مسمى البر.

فتكون العلاقة بينهما على النحو الآتي :

إذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر : فإنه اسم جامع للقيام بكل ما يحبه الله ورسوله ظاهراً وباطناً، وترك ما يكرهه الله ورسوله ظاهرا وباطنا، وإذا جمع بينهما نحو ﴿ ﴾ المائدة : 2 ، فسر البر بالقيام بعقائد الإيمان وأخلاقه، وأعمال البر كلها: القاصرة والمتعدية . وفسرت التقوى باتقاء ما يسخط الله من الكفر والفسوق والعصيان [24، ص283] .

عندما يقترن البر بالتقوى تكون العلاقة بينهما علاقة السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها فالبر مطلوب لذاته : إذ فيه كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه لكثرت المنافع والخير فيه لأنه جامع لجميع خصال ومقومات الخير وأنواعه .

أما التقوى فهي الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه لأن لفظها تقوى من وقى يقي وقاية فهي تدل على الوقاية لأن المتقي يجعل بينه وبين النار وعذاب الله وكل محذور وقاية تقيه، والوقاية من باب دفع الضر فالتقوى والبر كالعافية والصحة [25، ص11-12] .

فالبر هو التقوى، والبار هو الإنسان الكامل الذي زكت روحه وتهذبت نفسه وتأدب بآداب الإسلام والبر باب عريض يوصل القلوب ألطافا [26،ص184] ، ويوصل النفوس إلى بعضها محبة وإلفاً، لذا قرن الله بينهما في قوله تعالى : ﴿ ﴾ المائدة:2. ففي التقوى يتحقق رضا الله وفي البر يتحقق رضا الناس، إذا أخذ من الزاوية القصيرة، ويتحقق به رضا الله ورضا الناس إذا أخذ من الزاوية

الواسعة ومن تحقق له رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .

ومن الأقوال التي ذكرت في العلاقة بين البر والتقوى :

1- البر يتسع لكل لون من ألوان الخير فهي كلمة واسعة جامعة لكل دروب المعروف لأن معناها سعة الخير والمعروف [4،ج2 ، ص238] .

أما كلمة التقوى فتطلق على كل عمل يكون الباعث عليه اتقاء الشر أو اتقاء الخير .

2- البر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى .كذلك التقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر .

3- البر فيه أعمال القلوب وكذا أعمال الجوارح .

أما التقوى فيغلب عليها أنها من أعمال القلوب لقوله تعالى : ﴿ ﴾ الحج 32 .

4- البر هو العمل الزائد على مرتبة التقوى فالأبرار هم الذين يتوسعون في أعمال البر فوق أعمال التقوى، أما التقوى فهي دون مرتبة البر[27، ص56] .

إن القيام بأصول الإيمان وأصول الإسلام وأصول الأخلاق يدّل على القيام بأعمال البر .

كما أن تحقيق أعمال القلوب كالإيمان بالله ولوازمه وتحقيق الأعمال البدنية كالصلاة، والمالية كالزكاة يعّد من التقوى، لأن الله ختم آية البر بقوله: ﴿ ﴾ البقرة :177 .

5- إن البر يتعد نفعه إلى الغير أما التقوى فيبقى نفعها للإنسان نفسه .

فالعلاقة بين البر والتقوى علاقة تلازم لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ ويقول : ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ ويقول: ﴿ أن تبروا وتتقوا ﴾ ويقول: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ .

فجعل الأبرار هم المتقون عند الإطلاق والتجريد، وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد، كما في قوله : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ فدّلت

الآيات على أن مسمى الإيمان ومسمى البر ومسمى التقوى عند الإطلاق واحد، فالمؤمنون هم المتقون وهم الأبرار[28،ج7 ، ص183] .

ففسر البر بالإيمان وفسر بالتقوى، وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله والجميع حق[28،ج7 ، ص179] .

فأيهما أطلق تناوله ما يتناوله الآخر .

البر من أسماء الله

ليس للبر مكانة أعلى من أن يصف بها المولى عز وجل ذاته العلية فمن أسمائه الحسنى (البَرّ) في قوله تعالى : ﴿ ⑤☼●✠←❄✞⊳⑥ ❀♦⓿❄✞⊳⑥ ⋎✡⓿ ⊘❄✦❄⑨♊⊘♦ ←❄✦•♊⇗♦⬆↓⤷♦ ⑤✠⬋←❄✞⊳↖♦✋ ↙♦⬆✦ ⑤⊠⊠⊟❄)(✦⊙♦✈ ⑤⊠⊡●✦✈⤳✡"⊡⇧ ◑⌚▤☎ ﴾ الطور:28. ومعنى البرّ في الآية : الكثير الإحسان والكرم، كثير الرحمة والفضل لعباده، قال ابن الجوزي : ورد في معنى البرّ في الآية ثلاثة أقوال :

1- البرّ: الصادق فيما وعد .

2- البرّ : اللطيف .

3- البرّ: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عمّ ببره جميع خلقه [29،ج8 ص53] . فالبر من أسماء الله تعالى لأنه يحقق لعباده الثواب والرضا والمحبة الإلهية [3، ص80].

فهو تعالى يمن على السائلين بحسن العطاء، ويمن على العابدين بجميل الجزاء، ولا يقطع إحسانه عن عباده بسبب عصيانهم [32،ج3، ص1320] . فهو تعالى عند حسن ظن عبده به كما حكى الله عنهم قولهم ﴿ ⊘❄✦❄⑨♊⊘♦ ⋎✡⓿ ❀♦⓿❄✞⊳⑥ ⑤☼●✠←❄✞⊳⑥ ←❄✦•♊⇗♦⬆↓⤷♦ ⑤✠⬋←❄✞⊳↖♦✋ ↙♦⬆✦ ⑤⊠⊟❄)(✦⊙♦✈ ⑤⊠●✦✈⤳✡"⊡⇧ ﴾ أي من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه، يعنون في الدنيا ﴿ ندعوه ﴾ نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية لأنه تعالى البرّ : أي المحسن العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب [30،ج4 ، ص192] .

يقول ابن القيم فهذا دعاء العبادة المتضمن للسؤال رغبة ورهبة، والمعنى إنا كنا من قبل نخلص له العبادة، وبهذا استحقوا أن وقاهم عذاب

السموم، لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجي وغيره فإن الله سبحانه يسأله من في السموات ومن في الأرض، والفوز والنجاة إنما هي بإخلاص العبادة لا بمجرد السؤال والطلب [31،ج3 ، ص5-6].

فالبَرّ : أي فاعل البِرّ، والبَرّ الرحيم : المحسن، وهو من تتوالى منه أعمال البَرّ، فمن توالت منه أعمال البر من الخلق يسمى بَراً .

أما إذا كان الاسم منسوبا إلى الله: فالبَرّ هو مطلق الإحسان .

فالبِر: مطلق عطاء الله، وإحسانه إلى الخلق في الدنيا والآخرة، فيعطيهم سعادة تملأ قلوبهم، وصحة تحفظ أبدانهم .

فالبر في حقه تعالى، فهو فاعل البر والإحسان، يحسن إلى عباده بالخير، فالله تعالى خلق الخلق ليسعدهم، خلقهم ليحسن إليهم، ليكرمهم، فأصل الخلق إحسان [32،ج3 ، ص1318] يقول تعالى في الحديث القدسي :(إني والإنس والجن في نباء عظيم، أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي[33،ج4 ، ص134] [(5)] .

فالبَرّ : الإحسان بالبر المطلق .

فالمصيبة إحسان، لأنها ترد الشارد القافل المنحرف إلى الله، والله عز وجل بَرّ به، أي إحسانه مطلق يسوق بعض الشدائد لبعض عباده كي يحمله على التوبة، فإذا تاب قبله وأكرمه .

فأحيانا كل مصائب الدنيا تنطوي تحت اسم البَرّ والله تعالى يكشف لعبده المؤمن يوم القيامة عن كل شيء ساقه له في الدنيا من متاعب، ثم لما يرى ما هو فيه من نعيم لا شك أنه يذوب من شدة امتنان الله عليه حيث وقاهم عذاب السموم لما علم من تقواهم وخشيتهم وإشفاقهم وهم يعرفون أن العمل لا يدخل صاحبه الجنة إلا بمنة من الله وفضل [34،ج6 ، ص3366] .

وفي معرض هذا الامتنان جاء ذكر تسمية الله بالبر الرحيم

لأن كل مسلم يعلم أن الله يتداركه باللطف والتأديب كما يتداركه بالمرض والتخويف ليعود إليه عند الضراء، ويشكره حال السراء، فيبتليه

(5) أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان برقم 4563، والديلمي في مسند الفردوس برقم 4506 ، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير برقم 6008 ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 2371 .

بالأمرين فقر وغنى، سعة وضيق كما قال : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ الأنبياء 35 :

فالبر هو الذي لا يصدر عنه القبيح، (بل هو الذي يحسن إلى السائلين يحسن عطائه، ويتفضل على العابدين بجزيل جزائه لا يقطع الإحسان بسبب العصيان، وهو الذي لا يصدر عنه القبيح، وكل فعله مليح) [35، ص235] .

مجالات البر

للبر مجالات كثيرة لأنه يرتبط بالحقائق، ويدفع إلى أداء التكاليف الشرعية التي منها البر في العقيدة، والبر في العمل الذي يتمثل في جوانب الأحكام الشرعية العلمية، والبر في المنهاج والاتباع والبر في الأخلاق والسلوك وعلى هذا تكون مجالات البر على النحو الآتي.

البر وأصول الإيمان

إن البر عقيدة وإيمان، يتحقق فيه التصديق بأن الله الواحد الأحد الفرد الصمد، قال تعالى : ﴿ ﴾ البقرة:177 .

فهذه الأصول الخمسة للإيمان بالله هي جماع البر، وأساس كل خير، إيمان بالواحد الأحد، وإيمان بيوم القيامة، وإيمان بالملائكة، وإيمان بالكتاب، وإيمان بالنبيين . فالإيمان بالله هو أصل البر، لا يكون كذلك إلا إذا كان متمكنا من النفس بالبرهان مصحوبا بالخضوع والإذعان [36، ج2 ، ص111] فهو بهذا يعصم الإنسان من كل فساد في التصور والسلوك، فإذا حصل الإيمان استعدت النفوس، واستنار الفكر، واطمأن الخاطر، وعرف العبد أن له ربا لن يضيعه ما دام سالكا الطريق السوي، جاد غير عابث، ولا متقاعس . والإيمان بالله يستلزم الإيمان بكل ما يصدر عنه، لأنه سبحانه واسع عليم . فيجب الإيمان بالبعث [37، ص20] الذي هو أ نّ ا لحياة الدنيا مرحلة آفلة، وأن كل امرئ بما كسب في هذه الحياة رهين وأنه مجزي بما قدم فيها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وبذلك يصبح هذا الإيمان طاقة توجه الإنسان نحو الطاعات والقربات .

إن الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، هما الإيمان بالمبدأ والمعاد، ولما كانا غيباً احتاج إلى مصدر يعرّف بهما، وهو الواسطة بين الخالق والخلق . هذه الواسطة تتكون من ثلاثة عناصر هي الإيمان بالملائكة طرف أعلى يتلقى عن الله، والإيمان بالرسل طرف قريب من الناس ولهم صلة

بالملأ الأعلى وطرف ثالث هي الرسالة والوحي، وعبر الله عن ذلك بالكتاب [3،ص82-83] .

ومن أصول الإيمان: الإيمان بالملائكة، وأنهم من جند الله، مجبولون على الطاعة لا يعصون الله ما أمرهم، فيؤمن بوجودهم وبخلقهم وبصفاتهم وبأعمالهم التي يقومون بها تجاه الخلق وتجاه الكون .

والإيمان بهم: إيمان بالوحي والنبوة، وبالحفظة والكتبة، فالله يرسل ملائكة إلى رسله بما يشاء من التشريعات [38، ص17] .

فمن أنكر الإيمان بالملائكة فقد أنكر الإيمان بالرسل والنبوات وخسر الدارين، ومن أصول الإيمان، الإيمان بجميع كتبه المنزلة من عنده إلى أنبيائه لأنه تعالى أخبرنا بذلك، وأمرنا أن نؤمن بها، فالكتب السماوية في حقيقتها كتاب واحد كما قال تعالى : ﴿ ﴾ الشورى : 11 .

فهي دعوة إنسانية واحدة، لشريعة ذات جوهر واحد، من لدن آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومن أصول الإيمان : الإيمان بالرسل [37، ص21] وأنهم رجال اصطفاهم الله لتلقي هدايته وكتبه، وتبليغها للناس بصدق وأمانة وسلامة بصيرة، فيجب الإيمان بهم وبما أرسلوا به من أنواع الهدايات التي جاءوا بها إلى البشرية، فمن لم يقبل ذلك فهو من الضالين قال تعالى : ﴿ ﴾ النساء : 136 .

إن من يدرك من أصول الإيمان هذه الخصال الخمسة فقد أدرك من الكمالات الإنسانية ما يصحح به اعتقاده ويقوي به بره وإيمانه وتقواه وصدقه وإحسانه [5، ص28] .

فقد جمعت هذه الأمور الخمسة في الآية كل ما يلزم أن يصدق به الإنسان، لكي يكون ذا عقيدة سليمة تصل به إلى الصلاح والإصلاح [37، ص21].

البر وأركان الإسلام

قال تعالى في بيان أنّ أركان الإسلام من البر: ﴿ وأقام الصلاة وأتى الزكاة ﴾.

ذلك أن أداء الفرائض التي تتعلق بأركان الإسلام الخمسة من صلاة وزكاة وصيام وحج من أعظم البر، إذا تبر القيام بها على الوجه الذي أراده الشارع سبحانه.

وقد أكدت آية البر على أصلين من أصول الإسلام هما :

1- إقامة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

2- وإيتاء الزكاة التي فيها حق معلوم للسائل والمحروم.

فالبر في الصلاة يتحقق به علاقة العبد بربه، وعلاقته بنفسه [39، ص75].

ففي الصلاة تتجلى تحقيق عبودية الله التي تقوي صلته بخالقه وتنمي حبه فيه، وتؤهله لحب مولاه، وتشعره برضا ربه، ولهذا جاء في آية البر : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله... ﴾ إلى أن قال : ﴿ وأقام الصلاة ... ﴾. إن تعريف البر في الآية جاء مقترنا بحادثة تحويل جهة المسلمين من المقدس إلى الكعبة بمكة قبله للدين الجديد.

وقد كان وقعها شديدا على الناس خاصة غير المسلمين، أما المسلمون فقد امتثلوا أمر ربهم وتحولوا عن قبلتهم الأولى، والله تعالى أراد أن يربي المسلمين بهذا التوجيه، فأخبرهم أن هذا التوجيه طاعة ظاهرية ينبغي أن توزن بميزانها الواقعي فحسب وهي طاعة محمودة [5، ص27].

لكن هناك طاعات أحب إلى الله منها وهي التي جاء ذكرها في الآية ومنها الصلاة، فالمقصود [37، ص19-20] : إفهام الناس في كل زمان

ومكان أن مجرد تولية الوجه إلى قبلة مخصوصة ليس هو البر الكامل الذي يعنيه الإسلام . إنما البر الكامل يأتي في استجابة الإنسان لتلك الخصال الشريفة التي اشتملت عليها آية البر، ومنها الأعمال الصالحة التي تتحقق بإقامة الصلاة بأدائها في مواقيتها، مستوفية لأركانها وشروطها وواجباتها وسننها ومستحباتها والخشوع فيها على الوجه الشرعي .

أن عبادة الصلاة في علاقة الإنسان بنفسه يظهر في تهذيبها له، وتزكيتها وترقي روحه وتنميها مع توسيع أفقه وتصحيح سلوكه فتجعله إنسانا متوازنا بين متطلبات الروح والجسد [39، ص67-77]

قال تعالى : ﴿ ➔⌖⑤☺⚇✝⌖⌖✡✡⊠♑ ⑤⍉⊠⌖⊕⌦☺⊠✝⬆●⬆⌖
🕓✝○⌖✱✱⌖⍂✠ ⑤⍉⊠◐✝⊠⊳⌖⊙⑥✡ ➔⌖○●⊠✝✱✱♉⑥
⑤⍉⊠✝⊳✱"♊✱✱⍂✠🕮 ⑤✠⚘●⊃⌖✈ ⍁✈✡⌖⌖
⑤⍉⊠🖫♋⌖⍌⌖◐✱✱⌖⊙♑ ▦✱●○🖫⍻✡♓♊⊃⌖
⑤⍉⊠⍌✱⌖✱"✠✈✱✱⊗⌖⑥⓿♑🕮 ○⌖✍⊠✡⍉⇨
○✡⍉🖫○⌖✍⊳✝○✱▦✠○✱✱⍌ ♦✓⌖○🖫⍉✡○ ﴾ هود : 114 .

كما أكدت آية البر على أهمية إيتاء الزكاة، أي إعطاؤها لمستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم، ممن ذكرهم الله في آية الصدقات قال تعالى: ﴿ ⑤⚘✠⬅✝⊳⍋⌖⑥ ⑤⍉⊠⌖⌖✈•⌖♑✱✱⌖✱⌖⓿⇧
⊠✡⊠🖫⍌✡●⍉⌖○⌖⑤🖳⇩✡ ➔⌖⑤⍉⊠🖫⍋⌖⍌✱✱✱⍌⍉✡&⊃✠
⍋⌖🖫✡⊠⌖✍⍌✡&⊃⌖ ⍋⌖⊠✝"♊⍋⌖⑥
➔⌖⑤⍉⊠🖫⍋●⬉⌖⊠✝⊳⍌⌖➔✡ ♑✱●⊠✱●⑩⬆●⍋●⊳⇔
➔⌖⑤⍉⊠🖫⍌⬅✱⌖⍌✱○✠✈⑦✡ ➔⌖⑤⍉⊠🖫⍌⬅✱⌖⍌✱○✠⍌✡&⊃⌖
➔⌖🕔 ✦✱✱⍌⑨✠"♑✠ ⑤⍉🖃✡⇨☺ ➔⌖⑤⍉⑩✱⇔⍋✠
⑤⍉⊠⍌✈⌖⑨✡"♑✠⍜ ⍌✱✱⌖○✠▦✪⍌➔♈ ⍌✈✡⊂⍌
⑤⍉🖃✡⇨☺⍋ ➔⌖⑤⍉🖃●⇨☺⇨☺● ⍋⌖⊠✡"⍁"
⍜⌖❁✡"⍁♍ ﴾ التوبة :60 .

أن الزكاة المشروعة في الإسلام هي الحد الأدنى للبر، والمواساة في أموال المسلمين وثروتهم، فريضة لا يقبل الله عنها صرفا ولا عدلا [40، ص157] .

فالزكاة من أركان الدين الأساسية، وهي من شعار المسلم، وشرطا لإسلامه قال تعالى: ﴿ ⍌✱✱⌖⑥⚘✠⊃ ❸✱⌖⑥⑩●⬆⑤☠
➔⌖⑤✝☺♑✱✱⌖⑥⍌●⬆⑤☠ ⑤⍉⊠⌖✱⍌✝⊠✝⬆●⬆⌖
➔⌖⇩③⑤⑤❸✱⌖⬆●⑤☠ ⑤⍉⊠◎⌖✈❀⌖⬆●⬆⌖

﴿ التوبة: 11 .

وفي ذكر الزكاة المفروضة بعد ذكر إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، دليل على أن في الأموال حقا لذوي الحاجات سوى الزكاة، وهو ما عبرت عنه آية البر بالإنفاق، الذي لم تحدد مقداره، ولم يقيد بوقت، بل هو إنفاق يجب حيث تقتضيه ظروف الأمة، ثم إن الأغنياء الذين يكتفون بدفع الزكاة ولا يمدون يد المساعدة لسد حاجة المحتاجين وتفريج كرب المكروبين ودفع ضرورة البائسين ليسوا على البر الكامل الذي يريده الله من عباده المتقين [37، ص23] .

أما الصوم والحج فلم يرد ذكرهما في آية البر مع أنهما من أركان الإسلام بعد الصلاة والزكاة لأنهما من العبادات الموسمية هذا في السنة مرة وذاك في العمر مرة .

وعلى الرغم من أن عبادة الصيام يتحقق بها التقوى كما علل الله ذلك، إلا أنها تسقط عن العبد المكلف حال السفر، والمرض، والعجز، والكبر، ولما كانت السنّة مكملة للقرآن فقد جاء وصف العبادتين فيها وأنهما من أعمال البر، ففي الصيام قال عليه الصلاة والسلام:(ليس من البر الصيام في السفر)

[12،ج2 ص687] و [11،ج2 ص786] (6).

أي ليس من التوسع في أعمال الخير الزائد على موجبات التقوى الصوم في السفر.

ودل الحديث على أنّ الصوم ليس أفضل من الفطر، لا سيما بالنسبة إلى من يشق عليه الصوم، لأنه عليه الصلاة والسلام نفى أن يكون الصوم من البر في مثل هذه الحالة، ونفي البر لا يستلزم نفي التقوى، لأن البر هو العمل الزائد على مرتبة التقوى [27، ص56] .

وأما في الحج فقد قال عليه الصلاة والسلام: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [12،ج2 ص629] و [11،ج2 ص983] (7).

---

(6) أخرجه البخاري في الصوم، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام ليس من البر الصيام في السفر 687/2 رقم 1844، ومسلم في الصيام باب جواز الصوم والفطر، 786/2 رقم 1115.

والحج المبرور هو الذي لم يخالطه شيء من المآثم [14،ج1، ص117] وانظر كيف أنّه وصفه بالبر.

إن فعل الخير وأعمال البر في الحج كانت أظهر وأبين، ولذلك جاء فيه ﴿ 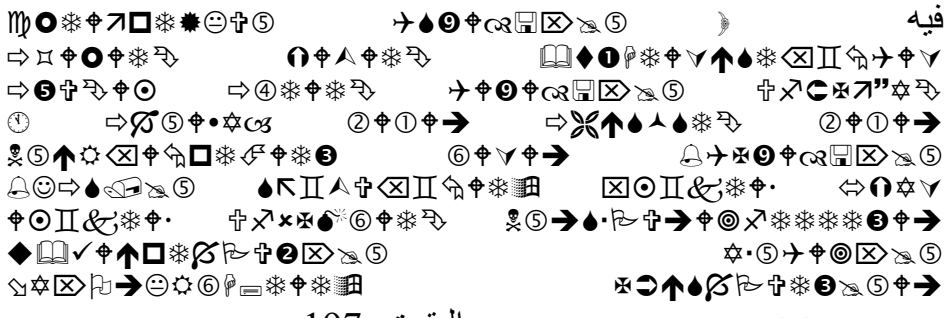 ﴾ البقرة : 197.

البر وأصول الإنفاق

جاء ذكر أصول الإنفاق في آية البر بعد بيان أصول الإيمان، ولاشك أن الإنفاق من أصول الأعمال الصالحة التي يتعدى نفعها إلى الآخرين، قال تعالى:﴿ ﴾ البقرة : 177.

إن هذا الجزء من الآية ورد الحديث فيه عن إيتاء المال على حبه ـ أي على حب الإنسان للمال وحرصه عليه ـ لأن النفوس مجبولة على حبه حبا جما قال تعالى: ﴿ 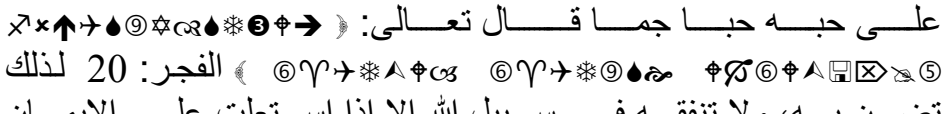 ﴾ الفجر: 20 لذلك تضن به، ولا تنفقه في سبيل الله إلا إذا استعلت على الإيمان بالشهوات وأعراض الحياة، وقدمت ما يبقى على ما يفنى [38، ص71] ، ذلك أن تحرير النفس من مألوف استعباد المال لها وتدريبها على

(7) سبق تخريجه.

الانطلاق نحو عالم التربية والتهذيب الرفيع يوصلها إلى الكمال النفسي المتركز على حسن معاشرة الآخرين، فتتدرب على فعل الخير، فتألف وتؤلف، وتحب وتحب، ثم إن أصناف الخلائق المذكورة في الآية إذا شملها البر فقد عمّت المنفعة طائفة كبيرة من مجموع المجتمع الإسلامي، من ذوي القربى واليتامى والمساكين، كما يشمل الخير غيرهم من أبناء السبيل والأرقاء [5، ص28] . إن أقرباء المعطي قدّموا على من سواهم، فهم أولى بالمعروف والبر من غيرهم، إذا كانوا محتاجين، لأن إعطاءهم إحسان وصلة رحم، ففي الحديث جاء قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة) [41،ج3 ، ص160] و [42، ج5 ، ص92] (8). إن البر في إنفاق المال يتحقق به تخلي الإنسان عن أعز ما عنده، وأحب ما لديه مما ألفته نفسه من ماله حيث ينفقه في سبيل الخير، راغبا فيما عند الله، قال تعالى :﴿ [illegible] ﴾ آل عمران :91 .

ولا شك أن الإنفاق يدل على قوة إيمان صاحبه وصفاء وجدانه وبسمو مرتبته إلى أعلى الدرجات . إن المال نعمة يقي به الإنسان نفسه من ذل السؤال ويحمل على صنائع الناس وأياديهم، فخير المال ما صين به العرض، وأدى به الفرض، واستغنى به عن القرض [43، ص15] .

لذا كان الإنفاق من أفضل أنواع البر خاصة إذا أنفق وهو صحيح الجسم معافى، لم يحفزه إليه انقطاع أمل في الحياة [43، ص15] . وفي هذا الإنفاق على أولئك تنبيه إلى أن المسلمين وإن اختلفت أوطانهم ينبغي أن يكونوا في التعاطف والتعاون على متاعب الحياة كالأسرة الواحدة، إنّ ذكر

---

(8) أخرجه الترمذي في الزكاة باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة3/ 46 رقم 658 وقال حديث حسن، وأخرجه النسائي في المجتبى في الزكاة باب الصدقة على الأقارب92/5 رقم 2582.

هذه الأصناف الستة في الآية ليس من باب الاستيعاب، وإنما هو من باب ذكر الأصول و الأمثلة، وتقديم هؤلاء الأصناف على غيرهم دليل على حاجتهم الماسة دون سواهم ممن لم يذكروا .

البر وأصول الأخلاق

تحدثت آية البر عن البر في الأخلاق، فذكرت تحته الوفاء بالعهد والصبر عند الشدائد، ثم ختمت ذلك البر كله بالصدق والتقوى . قال تعالى : ﴿ 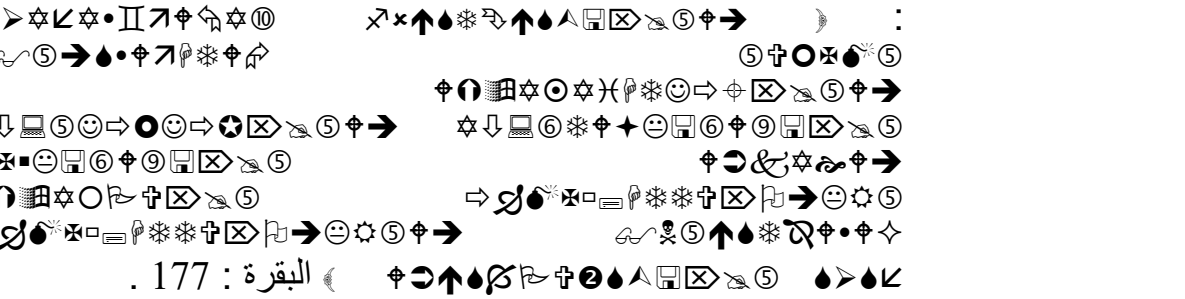 ﴾ البقرة : 177 .

البر في الخلق يتمثل في مبدأين:

1- مبدأ القيام بالواجب عبرت عنه الآية: ﴿ ﴾ .

2- مبدأ مقاومة الطوارئ عبرت عنه الآية: ﴿ ﴾ .

والعهد لفظ شامل يجمع ألواناً من الارتباطات والالتزامات لا غنى للناس عنها ولا استقامة للحياة بدونها وهي على كثرتها ترجع إلى عهد بين العبد وربه أو عهد بين الإنسان والإنسان أو عهد بين الدولة والدولة، وعهود الله مع عباده كثيرة منها العام ومنها الخاص [3، ص86].

أما عهود العباد بعضهم مع بعض فهي تتمثل فيما يحدث بينهم من عقود والتزامات مالية أو غير مالية، وكذلك فيما يحدث بين الأمة والأمة في تحديد الحقوق والالتزامات، وكلها يجب الوفاء بها ما لم تكن في معصية الله [3، ص87] .

إن الوفاء بالعهد خلق إسلامي أصيل، فلا يعرف المسلم غدرا، ولا خيانة، وإنما يعرف صدقا في القول والفعل والتزاما بالميثاق والعهد [38، ص73] ، قال الراغب : الوافي الذي بلغ التمام من كل شيء، والوفاء بالعهد : إتمامه وعدم نقض حفظه [7، ص528] . لأنه يثمر إيجاد جو من الثقة والطمأنينة في علاقات الأفراد والجماعات والشعوب [34،ج2 ، ص228] .

إن الوفاء بالعهد يكون مع الله، كما يكون مع الناس: فالأول يشمل ما عاهد المؤمنون عليه ربهم من الإذعان لكل ما جاء به الدين ﴿ ♑♘➔☺☼⑤ ❖⬀✲•♊↗♠♘✲⑩ ☠⑤🡅♦❄♑♊➔☺✞⑤♠➔ ⑩✲♘♠↗•♊♌⬄➢⇧♌✲•♊↗♠♘✲⑩ ﴾ البقرة : 40.

كما يشمل الثاني ما يعاهد به الناس بعضهم بعضا مما لا يحلّ حراما ولا يحرّم حلالا ﴿ ➔♠⑤✞☺➔♊♑❄♦🡅☠⑤ ⑩✲⑥⌧🖉⑤ ✲•♊↗♠♘🖫⌧🖉⑥✲⑩ ✠⑤💣♠➲✈ ⑤ ⌧🖉🖫♘♠•♊↗♠♘✞⑥×➶ ♠•♊↗♠♘🖫⌧🖉⑤ ✈♠➲♦❄♑♊▲♠⚲ ②♈①🡅☹♦❄❄❄♊①♈② ﴾ الإسراء :34

إن الموفين بعهدهم، هم الذين إذا عاهدوا أنجزوا، وإذا أقسموا بروا بقسمهم، وإذا قالوا صدقوا في قولهم [37، ص23] .

إن خلق الوفاء بالعهود من أصول الأخلاق، لأنه أساس في بناء المجتمع المسلم، لأنه تبنى عليه سائر المعاملات والعلاقات المختلفة، من وعود وعهود، فكلها تحتاج إلى الوفاء، فإذا انتفى زالت الثقة بين الناس، ولأهمية هذا الخلق أكثر الله من مدح الموفين بعهودهم، في القرآن في أكثر من 21 آية [44، ص492] . قال ابن عباس رضي الله عنهما يتناول العهود :ما أحل الله وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كله [45،ج4، ص63 .]

وبهذا نعلم أن الوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية، وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض [15،ج2 ص132] . ثم ذكر تعالى بعد خلق الوفاء بالعهد، خلق الصبر، وبيّن مواقعه التي لا يعدوها وهي حالة الشدة، وحالة الضر، وحالة القتال، فالبأساء مشتقة من البؤس وهو سوء الحالة من فقر ونحوه من المكروه، فهو: الشدة في المال، والضراء: شدة الحال على الإنسان مشـــتقة من الضر [15،ج2، ص132] . وهي ما يصيبهم في أنفسهم كالأمراض والأسقام.

والبأس : النكاية والشدة في الحرب [15،ج2 ، ص132] أي وقت القتال لإعلاء كلمة الله تعالى.

ولا ريب أن في صفة الصبر على الشدائد والآلام وحين القتال في سبيل الله مزيد من الفضائل، لأنها يتحقق بها كثير من المكارم، كالعفة عمّا في أيدي الناس، والتسليم بقضاء الله وقدره عندما يصاب الإنسان بالأمراض والأسقام، وعدم الخوف في الله لومة لائم، بالإقدام على كل ما يحمى به الدين.

إنّ الصبر عدة النجاح في الحياة ومصدر جميع الفضائل الإنسانية، والسبيل الوحيد للتغلب على جميع الصّعاب، وليس الصبر هو الخضوع والاستكانة من غير مقاومة ولا عمل .

وقد ذكر الله للصبر ثلاث حالات هي أبرز ما يظهر فيه هلع الهالعين وجزع الجازعين وهي: البأساء، الضراء، وحين البأس [3،، ص87] .

ولا شك أن الصبر فيه: جماع الفضائل كلها، ولذلك ورد ذكره في القرآن في أكثر من تسعين موضعا وقرنه بالصلاة في أكثر من خمسين موضعا [46،ج1، ص225]

كما في قوله تعالى : ﴿ ❀⑤➔♦✡☩❷❄♊✦✍⑤✞➔ ⑩⑥✍⊠✞☺➪⌖⊠✍⑤✞➔ ✠⊙♊♓☺➪⌖⊠✍⑥✡➔✞⑤✠➔ 🕮✡➚●➚✞⌫☺➪⌖⊠✍⑤✞➔ ②➱✞①💣✠⑤ ♎➚❍✞”✡⑨✞✍✞⊠ ⑥✞➚➱✞❄←💣✠⑤✞➔ ⑩✡✞✍⊠✞☩ ⑤✍⊠✞✡☩✸❄✞➷🖫⊠✍⑤ ⑤➷✞⌫✞☞ ﴾ البقرة : 45 .

وجعل الإمامة في الدين مورثة عن الصبر واليقين بقوله : ﴿ ♉➔✈✞⅄💣✠▫☹✞⑤ ⇔➢♦➚♊❍❄✡⩛ ⑥❄✞❍🖫⌫✞☩✞♋✞➔ ⑥✞✈⅄✞⊠ ⑩❄✡☹✞⑥✡❄✞ ✞➲➔♦•♊➚✞❄▥ ❀⑤➚♦⊙✞♓❄✞✧ ✍❀⑤➔♦✞❁✞⑥←✞❄➔ ⑩❄✡⑥☹✞❄✡❄▥⑥✞❍✡❷☙❄✞❄▥♦➚❍❄✞➲ ﴾ السجدة : 24 .

وقوله : ﴿ والصابرين ﴾ جاء معطوفا في المعنى على ﴿ من آمن ﴾ وهو معطوف على مرفوعات إلا أنه جاء منصوبا: على الاختصاص على ما هو المتعارف عليه في كلام العرب في عطف النعوت من تخيير المتكلم بين الاتباع في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع [15،ج2 ، ص132] . والقطع أبلغ من الاتباع وهو يكون بنصب ما حقه أن يكون مرفوعا أو مجرورا، وفي نصب الصابرين بتقدير أخص إشعار بفضيلة الصبر

ومزيته على غيره من المناقب حتى كأنّه ليس من جنس ما سبقه من فضائل .

ثم إن أنواع الصبر جاءت في الآية على وجه الترقي من الشديد إلى الأشد، وذلك لأنه الصبر على المرض أصعب من الصبر على الفقر، والصبر حين البأس أشد من الصبر على المرض .

إن البر بحسن الخلق جاء مبينا في السنة كما جاء في القرآن فقد قال عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن البر والإثم :(البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) [11،ج4 ص1980] (9) .

وهذا من جوامع حكمه عليه الصلاة والسلام، لأن البر:لفظ مشترك بين الصلة والصدق، واللطف والمبرة، وحسن الصحبة، والعشرة والطاعة، وهذه يجمعها ويستلزمها حسن الخلق [47، ص14] .

ولما كان البر بعناه العام جماع الخير كله، كان كذلك حسن الخلق بعناه العام يتناول الطاعات كلها ومكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ثم ختم الله تعالى آية البر وما اشتملت عليه من صفات جامعة مانعة كريمة بقوله: ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ . أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال [48، ص127] .

فوصفهم بالصدق والتقوى، لأنهم كانوا جادين في الدين محرزين لخصال البر، وهذا غاية الثناء [4،ج2، ص243] .

قال ابن القيم : الصدق ثلاثة : قول، وعمل، وحال .

فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص [49،ج2، ص281] .

(9) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم 1980/4 رقم 2553.

فالصدق خلاف الكذب، والصدّيق : الملازم للصدق والصادق هو الحبيب إلى الله المقرب إلى مرضاته، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الصدق طريق الأبرار إلى الجنة في قوله : (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنّة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا...) [12، ج5، ص226] و [11،ج4،ص2012] 10 .

فانظر كيف ختم صفات عباده الأبرار بمزية الصدق والتقوى: لأن التقوى أدق وأخص من غيرها من خصال البر، وبها يمدح الإنسان : التقوى أكثر مدحا من الإيمان، لأن الإيمان قد يتخلله غيره، والتقوى لا يتخلله غيره [49،ج2، ص282] . والتقوى يتحقق بها وقاية النفس من المحظور مما يخاف بفعل المأمور والمندوب، واجتناب المنهي والمكروه .

وهذه هي عين أعمال البر لأن الله تعالى عبّر عنه بقوله : ﴿ ✠➔⌧⌖❄✞✡♌⍟✡⊙⌖✈ ✠⌖➴ ⑤⍓⌧❑✡⌖➴ ⑤❸✞⌧⌖◆♌⍓⌖ ﴾ البقرة : 189.

إن آية البر اشتملت على خمسة عشر نوعا من أنواع البر الذي يهدي إلى الحياة السعيدة في الدنيا وإلى مرضاة الله في الآخرة . فالخمسة الأولى تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد وهي: (الإيمان بالله، واليوم الأخر، والملائكة والكتاب والنبيين) . والستة التي بعدها تتعلق بالكمالات النفسية التي هي من قبيل حسن معاشرة العباد وبرهم وهي: ﴿ وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ﴾، والأربعة الباقية تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل تهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها من المساوئ والأدران [47، ص14-15] وهي: ﴿ وأقام الصلاة، وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ .

وبهذا يتبين من الآية أن المسلمين تحقق فيهم معنى البر بمفهومه العام . وفيه تعريض بغيرهم على أنه لم يتحقق فيهم ذلك [15،ج2، ص132 .]

(10) متفق عليه: البخاري في الآداب باب قول الله ياأيها الذين ءامنوا اتقوا الله 226/5 رقم5734، ومسلم في البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق 2012/4، رقم 2607 .

البر وموبقات الذنوب

لا شك أن موبقات الذنوب كلها إثم، والإثم ضد البر وتأتي كنتيجة لترك البر، فالإثم ذنب وبعد عن الصواب، لكن تكرار الوقوع عليه يجعل من الإنسان أحيانا يرسخ في نفسه، ويصبح عادة يتعارفها الواقعون عليه، وهذا هو الشر بعينه .

ولذلك جاء في الحديث (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس) [12،ج2، ص629] و [11،ج2 ، ص983] [(11)].

والله تعالى أخبر في كتابه المبين أن المحسنين الأبرار من عباده يجتنبون كبائر الإثم والفواحش كما قال تعالى: ﴿ ➔⌖⑤⍉⌧✞⚐❍✡▦⋂⌖ ⊕⌖❄❷⌶❍⇦❍⇨ஐ ⌖➲⬆⬧⑨✡⬤⌖❄ ⌖⬤⌘⬧☼▫▭⌖❄❄⌖⑨❄✞⍉ ➔⌖⑤⍉⌧🖫☞⌖⬆⌖☞☜⬧✡★⇨ ♑⮚⧠❄❄❄❼⭨♑②⇳⍉⑤ ➔⌖⑤☼⌘⬤✞⑤ ⮛⌖⑥ ⬀⬅⌖✪✡⑨⬧⬆⑤☠ ⬃⬧⮚⬄ ▦❄⌖⬁⬅❄⧠☞✡⬤⬧➔➲⌖ ﴾ الشورى:37 .

والفواحش جمع فاحشة، وهي من جملة الكبائر، والأظهر أنها من أشنعها لأن الفاحشة في اللغة : هي الخصلة المتناهية في القبح [50،ج7 ، ص195] .

والله تعالى وعد بوعده الصادق الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ما عنده لهم من الثواب الذي هو خير وأبقى، وأكده في آيات أخرى، فمنها تكفيره سيئاتهم وإدخالهم المدخل الكريم وهو الجنة [50،ج7 ، ص196] قال تعالى ﴿ ⑤⌘☼➲ ஐ⇨⌶❍⬋❷❄⌖❄❄⬤✡⑨⬧⬆⑤☠ ❁⌖⑨⌖⑥💻▫⌘☼⬤⌖ ⮛⌖⑥ ❸❄⬧⬤❄⌶⬀⌖⬆⌶➲⌖ ⬀⌖⬤⌶❄❄⬉⬧ ⬅❄⬧⍉✞☞✡⍉⬤⇔ ⬀⌖⬤⍉☼⮚⌶ ✦⌖”✡✈❄❄⌖☹⑥❸✡⍉☼⮚⌶ ➔⌖⬅❄⬧•⌶·✡⌫🖫✿⬧⮚ ⮛⬧✈•⌶·⌖④◷ ⍉✞⬤⌘▦❄❄⮙❄♉⑥ ﴾ النساء:31 .

كما بيّن تعالى أنهم باجتنابهم كبائر الإثم والفواحش يصدق عليهم اسم المحسنين، ووعدهم على ذلك بالحسنى، التي هي الجنة في قوله تعالى: ﴿ ➔⌖ஐ❍⇦❍⌶⇨◎⌘⬀⇨ ⑤⍉⌧✞⚐❍✡▦⍉⇨

(11) سبق تخريجه في ص 4 .

﴿ النجم : 31. ثم بيّن المراد بالذين أحسنوا في قوله: ﴿ ﴾ النجم:32 . يقول صاحب الأضواء : وأظهر الأقوال في قوله : ﴿ ﴾ إن المراد باللمم صغائر الذنوب، ومن أوضح الآيات القرآنية في ذلك قوله تعالى:﴿ ﴾ النساء31 فدّلت على أن اجتناب الكبائر سبب لغفران الصغائر وخير ما يفسر به القرآن القرآن [50،ج7 ص196] .

ويدل على هذا ويزيده تأكيداً ورجحاناً حديث ابن عباس رضي الله عنه الثابت في الصحيح قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذّبه)[12] [12،ج4 ، ص2046]

قال أبو هريرة عن قوله ﴿ إلا اللمم﴾ هي القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا [1،ج4 ، ص372] .

أن الذنوب تأتي كنتيجة لبعد الإنسان عن البر، الذي هو فعل كل أمر مرضي للرب، ثم النفس والغير، فإذا اطمأنت نفس الإنسان وقلبه إلى العمل فهو البر، وإذا ضاقت منه ذرعا واستحت من كشفه وأخفته عن الأعين فذاك هو الإثم والذنب، فقوله عليه الصلاة والسلام (ماحاك في

(12) أخرجه مسلم في القدر باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنى 2046/4، رقم2657.

النفس) تعبير عن النفس الخيرة التي لم تمتها المعاصي ولم تهلكها الموبقات[51، ص17] .

فهذه النفس تختلج وتتردد ولم تطمئن لفعل المعصية، ولذلك جاء في حديث وابصة بن معبد قوله : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جئت تسأل عن البر ؟ قلت نعم. قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)[13،ج5 ، ص296] و [52،ج2 ، ص696] [(13)].

دّل الحديث على أن الإثم هو العمل القبيح الذي يؤثر في القلوب ويخطر لها على أنه معصية لفقد الطمأنينة فيه وعدم انشراح الصدر له[53، ص282] ، ولعل الذي يعرف هذا هو قلب الإنسان المجرد من الأهواء والأغراض والأمراض. المفطور على معرفة الحق وتقبله، مع الاطمئنان إليه والنفور من الباطل والتضايق منه . وينبغي أن يعلم أن النص الصريح إذا جاء بحكم الشرع يجب الرجوع إليه سواء انشرح له الصدر أم لم ينشرح لأن أمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أولى بالتقديم من ميل القلب أو هوى النفس [53، ص283] .

البر وتفاضل أعمال الأبرار

إن الأبرار متفاوتون في درجات البر بمقدار أعمالهم .وإن أعمال البر متفاوتة، بعضها أعلى من بعض وبعضها أفضل من بعض . ذلك إنّ مسألة تفاضل الأعمال ترددت على الألسن قديما وحديثا حتى وجد من الصحابة من طرحها وسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قولهم : أي العمل أفضل ؟ وقولهم أي العمل أحب إلى الله ؟

كما عرضها النبي عليه الصلاة والسلام في مقام الترغيب ببعض، الأعمال بقوله:أحب الأعمال إلى الله كذا وكذا ...قال صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله

(13) أخرجه الإمام أحمد في المسند 296/5 رقم 17545، والدارمي في سننه كتاب البيوع باب دع ما يريبك696/2 رقم 2438.

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) [11،ج1، ص63] [14] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها، قلت ثم أي ؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله) [12،ج2 ،ص533] [15] .

كما سئل عليه الصلاة والسلام عن أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله، قيل : ثم ماذا ؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) [12،ج1، ص197] [16] .

فكان عليه السلام يسأل كل مرة عن أي العمل أفضل فيجيب بإجابة تختلف عن الإجابة الأخرى . وقد بحث العلماء في طبيعة الأعمال ووظائفها ومراتبها وتفاضلها، ثم اختلفوا في بيان الأساس الذي من أجله تتفاضل .فمنهم من قال : يكون تفاضلها حسب الأشد والأشق على النفوس، ومنهم من قال : يكون حسب الواجب والمندوب، فيقدمون العبادات الواجبة على المندوبات والمستحبات .

إن أفضل من بيّن الميزان الصحيح في تفاضل أعمال البر هو الأمام ابن القيم رحمه الله، حيث قسمها إلى أربعة أصناف: صنف يرى أن أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها، وصنف يرى أنّ الأفضل ما تميّز منها بالتجرد والزهد في الدنيا، وصنف يرى أن أفضلها ما كان نفعه متعد إلى الغير. ورأى أصحاب الصنف الأخير أن الاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم أفضل من الأعمال القاصر نفعها على أصحابها، وقالوا العابد قاصر نفع عمله على نفسه.

والنّفاع متعد عمله إلى غيره، ومثلوا له بالأفضلية الموجودة بين العالم والعابد [54، ص71] .

---

(14) أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان 63/1 رقم 35.
(15) أخرجه البخاري في الحج باب فضل الحج المبرور 533/2 رقم 1447.
(16) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها 197/1 رقم 504.

واستدلوا له بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من حمر النعم) [12،ج3، ص1077] و [11،ج4 ، ص1872] [(17)].

ثم رجح ابن القيم ما ذهب إليه أهل الصنف الرابع : وهو أن أفضلها ما كان مبنيا العمل فيه على مرضاة الله، في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فيقدم كل عبادة في وقتها التي شرعت فيه. وعبارته: (فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضات الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه) [54، ص72] .

ولذلك سماهم أهل التعبد المطلق، وسمي الأصناف الأخرى أهل التعبد المقيّد، وهكذا الأبرار هم من أهل التعبد المطلق، ليس لهم غرض في تعبد بعينه، يفضلونه على غيره، بل يتنقلون في منازل العبودية بما يرضي خالقهم . فإن رأيت العلماء رأيتهم معهم، وإن رأيت العباد رأيتهم معهم، كما تراهم مع المجاهدين، والذاكرين، والمصلين، والمنفقين، والمتصدقين، والصائمين، والمحسنين، والمتخلقين بأحسن الأخلاق، فلم يتقيدوا بشيء يشغلهم عن شيء فهم يدورون في مرضاة ربهم لا على مراد نفسهم، [54، ص72] ولسان حالهم يردد إننّا إلى الله سائرون، فهم أبرار وبررة، قائمون على صراط الله المستقيم حقا وصدقا، وذلك ليقينهم أن فعل البر يستمر في الإنسان إلى النهاية قال تعالى: ﴿ ◆⍂⌲✞❷⌖☁ ⇨⍁⌲✞⑩⌖⊙ ⌶•❄♦❄⑨⌶⍐⍀⑤⌖➔ ⇨⍁⌖"✡❄❸🖫⌧⍀⑤ ⇧×&✡⍁⌖❄"🖫⌧⍀⑤ ⇨⍁⌖"✡❄❸🖫😑⑥⌖🏛 ﴾ الحجر:99.

صفات الأبرار وجزاؤهم

قال تعالى :﴿ ➔⌖⌧⍀⑤ ⇨□⌶"✞⌧⌖➔ ✈♦⊙✡⌘🖫⌧⍀⑤ ➲😑✞⑥✡⑩ ❸❄⑥⌖😑🖫⌧⍀⑤ ⇨⓿🡅♦"♦⑨🖫⌧⍀⑤ ⍜✡⍒ ✈⌖⊙✡⌘🖫⌧⍀⑤ ➔⌖⌧⍀✡⍜⌖❄❄❄✠⊙🡅♦↗⇧🕓🕓 ⑥↗❄❄❄✠⊙🡅♦↗⇧🕓🕓 ﴾

(17) متفق عليه انظر البخاري في الجهاد والسير باب دعاء النبي إلى الإسلام 1077/3، رقم 2783، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي 1872/4، رقم 2406.

(البقرة :189)

وقال تعالى :

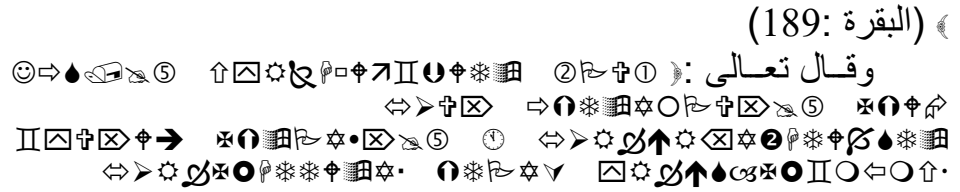

8: الممتحنة

وقال تعالى :

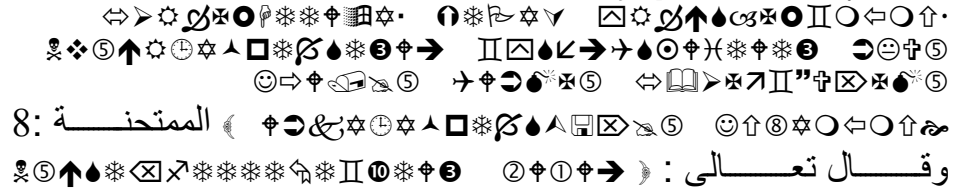

البقرة :224.

صفات الأبرار

إن من أعظم صفات الأبرار التقوى التي هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، [55، ص16] .قال تعالى في بيان ذلك: ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾، ﴿ أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ . وللآية سبب نزول [56، ص35-36] كانوا إذا أحرموا بالحج أو العمرة من بلادهم جعلوا من أحكام الإحرام ألا يدخل المحرم بيته من باب . أو لا يدخل تحت سقف يحول بينه وبين السماء، وكان المحرمون إذا أرادوا أخذ شيء من بيوتهم تسنموا على ظهور البيوت أو اتخذوا نقابا في ظهور البيوت، إن كانوا من أهل المدر، وإن كانوا من أهل الخيام دخلوا من خلف الخيمة وكان الأنصار يدينون بذلك، وأما الحُمس فلم يكونوا يفعلون هذا وهم قريش . [57،ج1 ، ص189] .

ومعنى نفي البر عن هذا، نفى أن يكون مشروعا، لأنه غلو في أفعال الحج، فنفى جنس البر عن هذا الفعل، والقرينة هي قوله: ﴿

البقرة :89 .

فمن صفات أهل البر الاتصاف بالتقوى الشرعية بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات [57،ج2 ، ص197] .

فيكون البر الذي أمر الله به هو لزوم تقواه على الدوام [58، ص89] .

البقرة:224 .

لما أمر تعالى في الآية بحفظ الأيمان في كل شيء، استثنى من ذلك، إذا كان البر باليمين يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم عرضة: أي مانعة وحائلة عن أن يبروا [58، ص100] .

يقول ابن جرير : معنى ذلك لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الله، وبين الناس [22،ج2 ، ص402] .

ومعنى أن تبروا أي فعل الخير كله، ذلك: أن أفعال الخير كلها من البر، ولم يخصص الله في قوله: أن تبروا معنى دون معنى من معاني البر فهو على عمومه[22،ج2، ص403] .

ومن صفات الأبرار أنهم أهل العدل في الناس برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم .

فهذا هو مجال البر: يتسع في الإسلام حتى يشمل معاملة غير المسلمين من جيران أو المعاشرين أو الذميين ما داموا مسالمين للمسلمين .قال تعالى:

الممتحنة : 8.

أي لا ينهاكم الله عن البر والصلة والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في

الدين، والإخراج من دياركم فليس عليكم جناح أن تصلوهم [58، ص857].

ومن أعظم صفات الأبرار أن الله تعالى مدح بها بعض أنبيائه خاصة الذين جاء ميلادهم أمرا خارقا للعادة، فهذا نبي الله زكريا يدعو ربه أن يهبه غلاما زكيا فيستجيب الله دعاءه فيكرمه بيحيى نعمة منه وفضلا، ويتوجه بأغلى ما تهفوا إليه الأبوة وهو البر [47، ص13] قال تعالى: ﴿ ﴾ مريم : 14 .

كذلك نبي الله عيسى الذي يعتبر آية من آيات الله تعالى في حمله وميلاده، وتكليمه في المهد، عندما أشارت إليه أمه، أخبر بما أكرمه الله به حيث جعله نبيا ومباركا أينما كان وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيا [47، ص13] ، ثم ذكر الصفة العظيمة التي أودعها الله تعالى فيه ﴿ ﴾ مريم:32.

ومن صفات الأبرار أنهم يحققون أصول الإيمان: الإيمان بالله وملائكته ... ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم يؤتون المال على حبهم له ﴿ وآتى المال على حبه ... ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم يتصفون بالتقوى التي هي : العمل بطاعة الله على نور من الله مع رجاء ثوابه، وترك معصية الله على نور منه مع الخوف من عقابه ﴿ ولكن البر من أتقى ﴾.

ومن صفاتهم أنهم يسعون إلى الإصلاح بين الناس ﴿ أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم يتحرون الصدق في أقوالهم وأعمالهم، ولهذا ختم الله آية البر بالتنويه على صدقهم ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم أهل وفاء مع الله ومع الناس ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم أهل الصبر المطلق في جميع مجالاته: حال الفقر، والمرض، وعند اشتداد الحرب، ﴿ والصابرين في البأس والضراء وحين البأس ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم أهل عدل بين الناس القريب منهم والبعيد ﴿ أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم يسعون إلى كل مايرضي الله تعالى، من عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ﴿ وأقام الصلاة وأتى الزكاة ﴾ .

ومن صفاتهم أنهم يتميزون بأنهم أصحاب الأخلاق الحسنة كما قال عليه الصلاة والسلام: (البر حسن الخلق) [11،ج4 ، ص1980] [18] .

إن الأبرار والمتقين حازوا المنازل العالية، ذلك إن الأبرار هم المتقون والمتقون هم الأبرار مع التأكيد على أنّ البر أوسع من التقوى، ولذا بدأت الآية ببيان صفات الأبرار وختمت بأن من تحققت فيهم تلك الصفات هم المتقون كما جاء في آية البر ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ وختمت بقوله: ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾، وكذلك جاءت آية آل عمران التي نوهت بالتقوى وختمت بالأبرار في قوله : ﴿ ✠⬆✡ঌ☟❄✞⌦

⬄➢💧➚✈⌖❄⑩⌖⨀ ☠⑤⬄🠉⌖❄✎⚐✞❄❸✍⑤ ⇨⬆▦✡○⚐✞⌦✍⑤

⬆✡➢ ⬋✠⭘♊⓾⌖❄❸ ⧫❶☟❄⚐✞❄⬇⌖ও ♊➢💧➚✞⌦

💧⭘☟❄⌖➚♊❄❄⭠😐✞②⇳✍⑤ ⑥⌖➚✡❷◻❄ও⌖❄❸

⬄⬆✡✈➢ 🕗②①💧◎💧❄⭠ ⑥➚❄❄❄➚”✡⮯ ⌖⬆▦✡•✡⌫☟❄⌖❄•

☺⇨✡📪✍⑤ ⌖•⬇✡⮫ ⑥⌖➢⌖➔ 🔔☺⇨✡📪✍⑤ ✡•⬇✡⮫

♌⨀♊&❄⌖• ✡⨀⑤⌖⭘♊❄⑩😐◻✞④⚐✡⌦ ﴾ آل عمران :198.

فالأبرار جمع البّر وهو الموصوف بالمبّرة، والبر حسن العمل ضد الفجور) [15،ج3 ، ص207] فالأبرار إذاً هم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما وفوزا دائما) [58، ص162] .لذلك كان من دعاء المتقين لله تعالى أن دعوا الله أن يتوفاهم مع الأبرار بعد أن يوفقهم لفعل الخيرات مع الاستمرار والثبات عليه، ويعينهم على ترك المنكرات ويغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم .

---

(18) سبق تخريجه في ص 4.

ومن أخص صفات الأبرار التي التصقت بهم وتميزوا بها، الوفاء بالنذر بفعل ما اعتزموا من الطاعات وما التزموا من الواجبات، لأخذهم الأمور بالجد، ومع هذا يخافون يوما قادما شديدا هوله، عظيما وقعه على المقصرين والمسيئين أن ينالهم شئ من شره، وهذه صفة الأتقياء أيضا الشاعرين بثقل الواجب وضخامة التكاليف، وهم كذلك يطعمون الطعام مع حبه له وحاجاتهم إليه يقدمونه للضعاف والمحاويج على اختلاف أنواعهم، ومع شدة رحمتهم ورقة قلوبهم، وإيثار غيرهم على أنفسهم فهم لا يطلبون من الخلق لا جزاء ولا شكورا، كما لا يستعلون على أحد، وبهذا الإطعام يتحقق كفاية حاجة المحتاجين، وتهذيب أرواح الباذلين) [34،ج6، ص3781-3782].

جاء بيان هذه الصفات للأبرار في قوله تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ... ﴾ ثم قال في بيان صفاتهم ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ... ﴾ الإنسان 5-10.

مكانة الأبرار

إن مكانة الأبرار عالية جدا، ومن علوها أن الله تعالى وصف ذاته العلية بأنه بر رحيم، فجعل من أسمائه الحسنى ﴿ البرّ الرحيم ﴾ .وهذا يعطي الأمل للمؤمنين الصادقين بفضل الله وكرمه حيث يقيهم عذاب السموم في الآخرة ويحفظهم بمنّه وبرّه في هذه الحياة، ولهذا كانوا مع الإشفاق والحذر والتقوى يدعون الله :﴿ إنا كنآ من قبل ندعوه ﴾ وهم يعرفون من صفاته البر بعباده والرحمة بعبيده [30،ج6 ، ص3397] ﴿ ⑤✠❄✞♠↖✋ ⑤⌧⌦❄✡✈♠⊙♠✈♠⌧⌦⑤ ﴿ الطور:28.

ولسمو مكانة الأبرار مدح بها بعض أنبيائه كما جاء في مدح نبييه يحيى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم بقوله: ﴿ ➔♠⑩❄♠✈✪♠❏⑤ ⑩❄✡♠⌧✡•♠⊞❄Ⅱ✡↖. ﴾ مـــــــريم:14، ﴿ ➔♠⑩❄♠✈✪♠❏⑤ ⑩❄✡♠⌧✡•♠⊞❄Ⅱ✡↖ . . ﴾ مريم:32 .

كما أن مكانة الأبرار تتضح في أن الله تعالى وصف بالبر الأفعال القوية الإحسان :

بر الوالدين، بر الحج، بر الخلق الحسن، بر العبد ربه بحسن المعاملة في تلقي شرائع الله .

وبيان ذلك جاء في النصوص الآتية قال تعالى: ﴿ وبرا بوالديه ﴾ وقال تعالى: ﴿ ﴾ آل عمران:92 وقوله عليه الصلاة والسلام:(البر حسن الخلق)،وقوله:(والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[19] .

ولعلو مكانة الأبرار سأل المؤمنون الصادقون الوفاة مع الأبرار: أي الموت على حالة البر بأن يلازمهم البر إلى الممات وأن لا يرتدوا على أدبارهم [15،ج3 ص200] . كما حكى الله عنهم:﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ فاستجاب الله تعالى لهم ذلك بقوله: ﴿ ﴾ آل عمران: 19 .

ثم أخبرهم أن ما عنده تعالى من الثواب الجزيل، إنما أعده للأبرار من عباده كما قال تعالى: ﴿ ﴾ آل عمران:198 .

وبهذا يتبين لنا مكانة الأبرار وعلو كعبهم في الدنيا والآخرة، لأنه تعالى جعل البر أعلى من الصدق . كما في قوله عليه الصلاة والسلام:(إن الصدق يهدي إلى البر).كما جعل البر أعلى وأعم من التقوى قال تعالى:﴿ ولكن البر من اتقى ﴾.

كما جعل تعالى أن الوفاء بالعهد والإصلاح بين الناس والعدل والتقوى كلها من البر وكلها تهدي إليه، كما يهدى إليه حسن الخلق (البر حسن الخلق) .

---

(19) سبق تخريجه ص3 .

جزاء الأبرار

جعل الله تعالى للأبرار الذين اتصفوا بصفة البر المكانة العظيمة في الدنيا والآخرة، إنها مكانة تتطاول إليها الأعناق وتهفو إليها النفوس، وتشتاق لها القلوب.

واسمع إلى آي الذكر الحكيم وهي تحدثنا عن هذا الجزاء قال تعالى : ﴿ ﴾ .الإنسان : 5

وقال تعالى : ﴿ ﴾ . المطففين : 22-23 .

وقال تعالى : ﴿ ﴾ . الانفطار: 13-14 .

وقال تعالى : ﴿ ﴾ .المطففين : 18.

ذكر الله تعالى في بيان جزاء الأبرار في سورة الإنسان، وهي أطول صورة قرآنية لمشاهد النعيم الذي أعده لهم، نعيم حسي ومعنوي، نعيم دنيوي وأخروي .

فمن جزائهم : جنة يسكنونها، وحريرا يلبسونه، وشرابا ممزوجا بالكافور يشربونه، مستمد من عين جارية لا ينفد ماؤها، تفجر لهم تفجيرا في كثرة ووفرة [34، ج6، ص3781] ، وهم متكئون على الأرائك بين الظلال الوارفة والقطوف الدانية، والجو الرائق، لا شمس تلهبهم بحرها، ولا برد يلفحهم بقرّه.

والاتكاء جلسة المتمكن الهادئ فارغ البال، في جو حالم لا يشعرون بما يكدرهم، وهم في الجنة مكرمون، ومخدومون يطوف عليهم غلمان لهم

بآنية من فضة فيها طعامهم، ويطُاف عليهم بأكواب من فضة فيها شرابهم، وتتميز بصفاء الزجاج وبياض الفضة ونضرتها [59،ج29 ، ص142] .

إن آنية أهل الأبرار في الجنة مقدرة تقديرا بأحجام مختلفة تحقق لهم المتاع والجمال يمزج فيها شرابهم تارة بالزنجبيل، وأخرى بالكافور، وهو مستمد من عين لا تنقطع تسمى السلسبيل لشدة عذوبتها

وزيادة في المتاع والخدمة، يطوف بأوانيهم وشرابهم غلمان صباح الوجوه، في نضرة الشباب وروعة الحسن والجمال، إذا رأيتهم مقبلين ومدبرين حسبتهم لؤلؤا منثورا في الصفاء والنظافة والجمال . وهذا من تمام لذة أهل الجنة .

وإذا رأيت النعيم الذي يعيش فيه الأبرار، والملك الكبير الذي حباهم به ربهم، فهو نعيم لا يقادر قدره ولا يدرى كنهه، ويتضاءل أمامه كل نعيم وكل ملك، فتجد الواحد فيهم عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة والمزخرفة ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة والثمار الدانية والفواكه اللذيذة والأنهار الجارية والرياض المعجبة والطيور المطربة، ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس .. ثم علاوة ذلك ومعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم، كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، كما لا نهاية لأوصافه، فلا نهاية لبره وإحسانه [58، ص902] .

ومن مظاهر هذا النعيم يعلوهم ثياب من حرير رقيق أخضر، وحرير آخر سميك مبطن كل بما يناسبه كما ألبسهم الله أساور من فضة، ومع هذا سقاهم شرابا طهورا، نقي من كل الشوائب لا يدرى وصفه، كل ذلك عطاء كريم من معط كريم .

وزيادة في النعيم يتلقون من ربهم الود والتكريم ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴾ يتلقون هذا النطق من الملأ الأعلى، وهو يعدل هذه المناعم كلها، ويمنحها قيمة أخرى فوق قيمتها) [58، ص902] .

كما أخبر تعالى عن جزاء الأبرار في سورة الانفطار ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ الانفطار : 13

أي هؤلاء القائمون بحقوق الله وحقوق عباده الملازمون للبر في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار [58، ص914] .

وفي المقطع الثالث من سورة المطففين بيّن الله تعالى جزاء الأبرار ورفعة مقامهم، والنعيم المقرر لهم ونضرته التي تفيض على وجوههم، والرحيق الذي يشربون وهم على الأرائك ينظرون) [34،ج6، ص3854]
.

فذكر أولا كتاب الفجار، وجعله في أسفل الأمكنة وأضيقها وأظلمها، مما يدل على الحزن والكآبة، وعلى طريقة المقابلة في عرض صفة الفجار وجزاؤهم، وصفة الأبرار وجزاؤهم، ذكر كتاب الأبرار ثانيا لتتم المقابلة بين الحقيقيتين .

فأخبر أن كتاب حسناتهم مسجل في ديوان عمل الأبرار فيجازون على عملهم أحسن الجزاء، لأن العلو دليل على السعادة والسرور، ثم عرّف كتاب الله بكتاب الأبرار وأنّه كتاب مرقوم معلوم، بيّن الكتابة، واضح الرسوم، يشهده المقربون من الملائكة ويحافظون عليه) [59،ج29 ، ص29] .

وإذا كان هذا حال كتابهم، فما بال حالهم، فالله تعالى وصف في كتابه ما هم فيه من نعيم مقيم في ذلك اليوم العظيم، بقوله: ﴿ ⑤✠☼♁⊃⌖✈
☎▤▤☽ ☸◸”✡⇱⌖❄← ⇲✡⇜✞⌧ ⌖⊙⑤⌖●♊❄⑩✞☹②⇯⍉⑤
⌖⊃➔♦●⇧◷◷❶⌖▦ ✡⍢☼✠▫▭⑤⌖⊙✞☹②⇯⍉⑤ ⇲✞⌫⌖⇗
♊◸✠➚✡⬋⬆♦☙♦➔ ◷ ⇧⇷✠●♊⇱⌖❄❸ ☎▤▤☽
☎▤▤☽ ♑◸”✡⇱⚐✞❶⌧⍉⑤ ⌖⬆⌖●☐✪⌖❄←
☸⌘⬆♦❷☐❄♾⌖✈✓ ♦⌧”✡⍨✈⌖⊙ ⍝✡✓ ⌖⊃♊⬆⌖⍧☐❄⅄♦▦
... ﴾ المطففين :22-28.

أي فهم في موضع التكريم والتنعيم على السرر المزينة بالفرش الحسان، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، يعرف الناظر إلى وجوههم من حباهم الله به من نضرة النعيم ورونقه وبهائه، لأن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نورا وحسنا) [58، ص916] ، يسقيهم الله من أطيب الأشربة وألذها مما لا غش فيه ولا كدرة، قد ختم باسمهم إكراما لهم، مما يلقي عليه ظل الصيانة والعناية وأن

ختام شربه وآخره طعمه طعم المسك) [15،ج15، ص206] وفي هذا دليل الأناقة والرفاهية) [58،ج6 ، ص3859] .

ثم أخبر أن هذا الرحيق المختوم يفض ختامه ثم يمزج بشيء من هذه العين المسماة تسنيم التي يشرب بها المقربون، فهي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق .

فلذلك كانت خالصة للمقربين [58، ص916] من أولياء الله وأحبابه وأهل بره وإحسانه .

ويكفي أن الله تعالى عمم جزاءهم في قوله ﴿ ⑥♦♈♦➔ ♦•✪✡⇗ ⑤✡⊙⑤♦❿♊❄⑩♓◘✞④♍✡⌦ ♌⊙♊&❄♦· ☺⇨✡✎✍⑤ ﴾ آل عمران: 198 .

ولذلك ارتفعت النفوس إلى هذا الجزاء العظيم فلهجت ألسنتها بالحصول عليه ﴿ ⊙♦✈⑩❄✪♦⑥💻⑤ ✠●❄♦✪♈⑥♦❄✪♓ ⑥♦❄✪♓✡♘♦✦ ⑥♦❄✪♓❄▥✡·⑥♦❄✪♓♈ ⑥♉❄▥✡·⑥♦❄✪♓♈ ⇦➲☺✞⑤ ⇦➲☺✞⑤ ⑤✡♈♓✪✡♈⑤③⇩ ✠✪♍❄♦♘▥◘♑♌④✡⌦ ⑤♓♓✪✡♈⑤③⇩ ⇦➲☺✞⑤ ⑥♍✞✪♓♦♈⑥☹♦❄❄♦❄➲ ⇦➢☼♐✈✡❄⑩♦❿✡⑩ ⑥♦❄✪♓✞⌦ ⇦❿❄✡✍🖫🡐✎⑥♦❄➲ ⑥♦❄✪♈♦❄⑩♦⊙ ⑥♦❄✪♓✞⌦ ⇦❿❄✡✍🖫🡐✎⑥♦❄➲ ⑥♍✞✪♓♦⇗ ⇦❿♍✡✍♦❁♦➔ ⑥↗❄❄❄❄❄❄✪♦⑩♓♓❄🡐❿❿ ⑥♍✞✪♓♦⇗ ⇦❿♍✡✍♦❁♦➔ ♦↳♦♈ ⑥♦❄✪♍✞➲♦♓♦❄❸♦➔ ⑥♦✪✡❄❸⑥☹♦❄❄✈✡❄”♦✦ ⑤✎⇳②☺✞❿♊❄⑩✞⊙⑤♦❿♊❄⑩✞⊙✠ ﴾ آل عمران 193.

فإن الله تعالى مدح الأبرار وأثنى عليهم في الدارين، وأيدهم بنصره، وحفظهم من كيد أعدائه، وغفر ذنوبهم، وكفر سيئاتهم، بل ألقى في قلوبهم الاطمئنان وراحة البال وسكون الضمير، لأنه ألبسهم البر الذي تطمئن به قلوبهم ونفوسهم، وهل هنالك نعمة في الدنيا أكثر من راحة الضمير واطمئنان ا لنفس وسكون القلب . وبهذا يتبين أن جزاء الأبرار تناول الدنيا والآخرة.

آثار البر في الدنيا و الآخرة

للبر آثار تترتب عليه في الدنيا والآخرة، فمن هذه الآثار ما يعود على المكلفين الأبرار في دار الدنيا ومنها ما يعود عليهم في الآخرة ومنها ما يعود على المجتمع الذي يعيشون عليه ويتعاملون معه.

آثار البر في الدنيا :

إن البر ليس، ادعاء، وليس مجرد مظهر لا ينم على جوهر بل هو كلمة موجزة في مبناها، جامعة شاملة في معناها، فالبر والبار والبررة هم الأخيار من عباد الله المتقين، وللبر آثار تعود على الأعمال، وعلى العاملين، وعلى المجتمع في الدنيا والآخرة .

فمن آثار البر على الفرد إن الإنسان البار: هو الإنسان الكامل في إنسانيته الآخذ من الفضيلة بأوفر نصيب، ولا يعد الإنسان برّا ولا بارّا حتى يحقق في نفسه الإيمان الصحيح، والاعتقاد الكامل في الله واليوم الآخر، وملائكته وكتبه ورسله، ولا يكون بارا حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب . كما لا يكون بارا حتى تزكو روحه، وتتهذب نفسه، ويتأدب بآداب الإسلام، ويتخلق بالأخلاق الفاضلة مع الآخرين كما أكّد ذلك النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:(البر حسن الخلق) .

البر بذرة خير يغرسها الإسلام في نفس الإنسان، فتؤتي أكلها، وتنمو حتى تثمر فتنفع الفرد وتنفع الإنسانية معه جمعاء .

إن نفس الإنسان البار نفس مطمئنة، وباله مرتاح، وضميره ساكن، وهل هناك نعمة في الدنيا تعد على الإنسان أكثر من راحة الضمير واطمئنان النفس (البر، ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب) .

ومن آثار البر على الفرد أنه طريق موصل إلى الجنة (وإن البر يهدي إلى الجنة) كما يتحقق للإنسان المكلف في البر زيادة في عمره وبركة في ماله ونسله لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل يحرم الرزق بخطيئة يعملها) [41،ج4، ص448] و [60،ج1 ص35] [(20)] .

(20) أخرجه الترمذي في القدر باب ما جاء لا يرد القدر 448/4 برقم 2139 وقال حسن غريب، وابن ماجه35/1 (90) وحسنه الألباني انظر صحيح ابن ماجه (73) .

إن العبد البار يحصل على رضا الله تعالى ومحبته، كما يحصل على رضا الناس، لأن من أولى صفات البررة الإيمان بالله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله . . ﴾

وإن من ثمرات الإيمان بالله حصول رضاه تعالى الذي يتحقق به حياة طيبة كريمة لعباده في الدارين، ويدفع عنهم الشرور والمكاره، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ الحج:38 . أما أثر العبادات على البار فتظهر حيث تهذب العبادات نفس البار وتزكيها وترقي روحه وتنميها وتوسع له أفقه وتفكيره وتصحح له سلوكه وتنقيه [39، ص76] . وهذا ما أشارت إليه نصوص كثيرة :

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ العنكبوت : 45 .

وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ هود : 114.

فالصلاة من أعمال البر وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر قطعا، فإذا رأيت من يصلي ؛ ويفجر أو يفسق فاعلم أنه ليس من أهل البر، لأن صلاته ليست بصلاة حقيقية، وليس فيها الخشية التي تثمر حسن الخلق، وتجعل النفس بمنأى عن كل فحش ومنكر وإثم .

وهكذا تقاس بقية العبادات الأخرى، ففي الزكاة جاء قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ التوبة : 103.

وفي الحديث : (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصـــائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين) [61،ج1 ص111]و [60،ج1، ص585] [21].

إن كل عبادة شرعها الله تعالى تحقق أثرين : أثر على الفرد، وأثر على المجتمع، مع وجود تفاوت في تغليب أحدهما على الآخر، فأحيانا يغلّب جانب الفرد كالصلاة مثلا فإنها عبادة فردية في أصل مشروعيتها تهذب نفس المكلف وتصلح روحه وتربطه بخالقه، على أنها لا تخلو من أثر اجتماعي مثل تنقية أفراد المجتمع من الفحشاء والمنكر، وأداؤها يؤدي إلى الألفة بين أفراد المجتمع الواحد) [39، ص78] . وأحيانا أخرى يغلّب جانب المجتمع على العبادة مثل الجهاد وأحكام الأسرة فمع وجود آثار تعود على الأفراد ألا أن الأبرز في مشروعيتها صلاح المجتمع .

وأحيانا يتكافأ أثر العبادة بين الفردية والاجتماعية كالزكاة فإنها تزكي نفس المكلف من طغيان حب المال في نفســـه والشـــح به كما تحقق الألفة بـــين المجتمـــع والتعـــاون بيـــنهم) [39،ص60.] ﴿ ۞۩✲۞ ۞۩✲۞ ♍≺♠♦❄⌧♊⌂✦✈♈ ♌✈✠✦ ⇔➢✠↗✲⊠ ⑤✞☹♈♊⌧♠ ﴾ المعارج : 25 .

ولـذلك جـاء الحـديث يؤكـد الجـانبين (طهـرة للصـائم . . وطعمـة للمساكين) .

إن آثار البر تظهر على الأعمال الصالحة التي يؤديها الأبرار حيث تتميز أعمالهم بالإتقان فيها والدقة حيث يؤدونها على أحسن الوجوه وأكملها .

كما تظهر آثار البر على العاملين حيث تنضبط أعمالهم، وتتهذب نفوسهم، ويخضع الأبرار لخالقهم: يأتمرون بأمره، وينتهون عن نهيه، فتجعل من الفرد عضوا نافعا في المجتمع، مصلحا تتوازن لديه متطلبات الروح والجسد، وصالحا يصلح بصلاحه المجتمع. لأنه لو صار الناس متعاونين على البر والتقوى متضامنين في السراء والضراء، يرحم القوي

(21) أخرجه أبو داود في الزكاة باب زكاة الفطر 111/2 رقم 1609 وابن ماجه في الزكاة باب صدقة الفطر 585/1 رقم 1827، والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري .

الضعيف، ويعطف الغني على الفقير، والكبير على الصغير، لما وجد في الأمة فقر ولا ضيق، كما قال الشاعر :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

آثار البر في الآخرة

لما كان البر أمرا جامعا لمجامع أركان الدين الإسلامي، أصوله، وفروعه، وقواعده، وفضائله كان لاشك له أثر واضح يعود على الأبرار في الآخرة، فالله تعالى جعل لعباده الذين اتصفوا بصفة البر عظيم المكانة في الآخرة قال تعالى في بيانها ﴿ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ الانفطار:13-14 .

وكما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ المطففين:22-24 .

ففي الآية الأولى قابل بين تنعمهم وبين عذاب من خالفهم .

وفي الآية الثانية بين أن نعيمهم يتضمن ما ذكر من حالهم بعدها من بيان جلوسهم على الأرائك، وبيان طعامهم وشرابهم الممزوج بالكافور ﴿ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ الإنسان : 5 .

إن أثر بر الأبرار أورثهم جنة وحريرا، وأبعدهم عن كل ما من شأنه الشقاء كالحر والقر والكد والتعب، وما يؤدي إليه من الجوع والعطش والعري وغير ذلك .

وألبسهم تعالى رضوانه ورحمته، وهيأ لهم من يخدمهم من الولدان المخلدين، الذين جمعوا بين متعة الجمال ومتعة الخدمة، كل ذلك ظهر في

نفوسهم، وفي وجوههم ففاضت بالنضرة والسرور والراحة والحبور حتى ليراها كل راء ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ .

ومع تنعم أجسادهم وأرواحهم زادهم الله نعيما إلى نعيمهم حيث رضي الله عنهم، وتقبل سعيهم، وشكرهم على ذلك: ﴿ ﴾ الإنسان : 22 .

إن أثر البر يظهر في إيصال الأبرار إلى جنات النعيم (وإن البر يهدي إلى الجنة) كما يظهر في إيصالهم إلى حصول ما عند الله تعالى الذي وصفه بأنه كله خير ﴿ ﴾ آل عمران 198 .

نعم إنها مكانة عالية مرموقة، تهفو إليها النفوس، وتتطاول إليها الأعناق، ولذلك دعا المؤمنون ربهم أن يميتهم على أعمال الأبرار وأحوالهم بقولهم: ﴿ ﴾ آل عمران: 193.

إن أعظم أثر يتحقق للأبرار في الآخرة بعد وصولهم دار القرار هو الظفر برؤية وجه ربهم الكريم كما قال تعالى : ﴿ 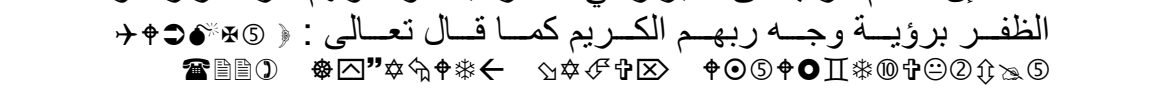 ﴾ (المطففين : 22-23) .

قال ابن القيم : ولقد هضم معنى الآية من قال : ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم لمحجوبون) [62،ج6 ، ص304] .

كما قابل تعالى بين ضحك الكفار وغمزهم للمؤمنين في دار الدنيا، وبين ضحك المؤمنين منهم يوم القيامة، وهم جالسون على أرائكهم قال تعالى : ﴿ ﴾ المطففين : 34 -35 .

فأطلق النظر، ولم يقيده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجله هو الله سبحانه والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها .

تلك هي بعض آثار البر في الآخرة والتي فاز بها الأبرار من عباد الله المتقين جعلنا الله منهم بمنه وكرمه . . . . آمين .

الخاتمة

خلصت الدراسة على بيان أن البر عقيدة، وشريعة، وسلوك، وإيمان، عبادة، وخلق. قول وعمل واعتقاد، إنفاق وإشفاق، صبر ووفاء، صدق وورع،اسم جامع للطاعات المقربة إلى رب البريات فإذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، فيدخل فيه كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات، ولذلك فسّر بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وأكّدت أنه مطلوب لذاته، لما فيه من كمال العبد وصلاحه، الذي لا صلاح له بدونه لكثرة منافعه، وجمعه لجميع خصال الخير ومقومات الدين في الدنيا والآخرة. وقفت الدراسة على بيان مفهومه، ودلالاته، وعلاقته بالتقوى، وتسمي الله به، ومجالاته، كما وقفت على صفات الأبرار ومكانتهم وجزاؤهم، ثم ختمت بالآثار التي تترتب عليه في الآخرة والأولى.

وانتهت الدراسة إلى نتائج منها:

1- ورد مصطلح البر في القرآن في عشرين موضعا، جمع الله بينه وبين التقوى في سبعة مواضع، وقدمه عليها في ست منها.

2- إنّ البر إذا أطلق على العبد فهو جماع الخير الذي يشمل المعاني النفسية، والأخلاق الحسنة، وما ينشأ عنها من أعمال صالحة تقرب إلى الله،

وإذا أطلق البر إلى الله فهو الثواب والرضا والمحبة الإلهية والإحسان الكثير الذي يتكرم به على عباده.

3- إنّ البر طريق موصل إلى الجنة.

4- إنّ البر يتحقق به زيادة في العمر، وبركة في المال والولد.

5- تحصل به السعادة في الدارين:لحصول الطمأنينة للنفوس في الدنيا والسلامة من العذاب في الآخرة .

6- يحقق محبة الله لعباده البررة والتي توصلهم المكانة الرفيعة في الأخرى.

7 - يؤدي إلى شيوع المحبة والألفة بين أبناء المجتمع.

8 - إنّ كمال البر لا يتحقق للإنسان إلا بالإنفاق من ماله ووقته وبدنه ونفسه فيما يرضي الله.

أسأل الله أن يتقبل عملنا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد.

المراجع

[1] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. دمشق: دار الفيحاء، والرياض، دار السلام، 1414هـ.

[2] السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد. *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ .

[3] شلتوت، محمود. *تفسير القرآن الكريم*. ط7. بيروت: دار الشروق، 1399هـ .

[4] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

[5] الكتاني، عبد الله كامل. "مفهوم البر في الإسلام"، *المنهل*، ع 9، ذو القعدة، 1404هـ، ص25-30.

[6] الرازي، محمد. *مختار الصحاح*، بيروت: دار الفكر، 1401هـ .

[7] الأصفهاني، الراغب . *مفردات ألفاظ القرآن الكريم*. دمشق: دارالقلم، وبيروت: دارالشامية، 1412 هـ.

[8] ابن الجوزي، عبد الرحمن. *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة ، 1405هـ.
[9] الفيروز آبادي. *القاموس المحيط*. بيروت: دار الجيل، د.ت .
[10] القرعاوي، سليمان بن صالح. *الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة موازنة*. الرياض: مكتبة الرشد، 1410هـ.
[11] القشيري، مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المملكة العربية السعودية: رئاسة البحوث العلمية ، 1400هـ.
[12] البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*. بيروت: مصورة دار الشعب، 1390هـ.
[13] ابن حنبل، أحمد. *المسند*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ.
[14] ابن الأثير،أبو السعادات المبارك محمد الجزري. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلمية، د.ت .
[15] ابن عاشور،محمد الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت.
[16] البيضاوي،ناصر الدين عبد الله بن عمر. *تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار الجيل، د.ت .
[17] الصابوني، محمد علي. *صفوة التفاسير*. ط4. بيروت: دار القرآن الكريم، 1402هـ.
[18] الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1399هـ، القسطنطينية: مكتبة المأمون، 1170م .
[19] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. *معجم مقاييس اللغة*. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1402هـ.
[20] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. مصورة عن مطبعة بولاق، 1300هـ.

[21] الجرجاني، أبو الحسن علي بن أحمد. *التعريفات*. بيروت: دار العلم للجميع، د. ت .

[22] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل أي القرآن*. بيروت: دار الفكر، 1408هـ.

[23] فريد، أحمد. *التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة*. بيروت: دار الفكر، 1408هـ.

[24] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*. ط2. القصيم: مطبوعات القصيم، 1309هـ .

[25] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *تحفة الأحباب*. مصر: مطبعة الدمانة، 1368هـ .

[26] الماوردي، علي بن محمد البصري. *أدب الدنيا والدين*. تحقيق: مصطفى السقا. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت .

[27] الميداني،عبد الرحمن حبنكـــة. *الصيام ورمضان في السنة والقرآن*. دمشق: دار القلم ، 1407هـ.

[28] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*. طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، د.ت.

[2]أبو الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي. *زاد المسير من علم التفسير*. بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.

[30] النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

[31] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *بدائع الفوائد*. بيروت: دار الفكر، د.ت.

[32] النابلسي، محمد راتب. *موسوعة أسماء الله الحسنى*. دمشق: دار المكتبي، 1423هـ .

[33] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. *شعب الإيمان*. تحقيق: زغلول محمد السعيد. بيروت: دار الكتب العلمية، ط10. 1990م.

[34] قطب، سيد إبراهيم. *في ظلال القرآن*، ط10، بيروت: دار الشروق، 1402هـ .

[35] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. *شرح أسماء الله الحسنى*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت.

[36] رضا، محمد رشيد. *تفسير المنار*: ط2. بيروت: دار المعرفة، د.ت .

[37] طنطاوي، محمد سيد. "وجوه البر كما يصورها القرآن"، *التضامن الإسلامي*، ع3، شعبان، 1410هـ، ص19-24.

[38] الدسوقي،محمد. "تأملات في آية البر". *الوعي الإسلامي*، ع319، ربيع الأول،1413 هـ. ص68-75.

[39] البيانوني، محمد أبو الفتح. *العبادة دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة*، القاهرة: دار السلام، 1404هـ .

[40] الندوي، أبو الحسن علي الحسني. *الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة*. ط4. الكويت: دار القلم، 1398هـ .

[41] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. *سنن الترمذي*. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

[42] النسائي، أحمد بن علي بن شعيب. *سنن النسائي*. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

[43] هلال، محمد أمين. "البر المزدوج". *مجلة الإسلام*، ع39، شوال، 1354هـ. ص15-17.

[44] عبد الباقي، محمد فؤاد. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. إستنبول: المكتبة الإسلامية،1982م.

[45] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. *عمدة التفسير*. تحقيق: أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 1956م .

[46] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية*. ط3. تحقيق: الحليند محمد السيد. بيروت ودمشق: مؤسسة علوم القرآن، 1406هـ .

[47] كشك، عبد الحميد. *أبي وأمي، بر الوالدين*. القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت .

[48] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير. هذبه جماعة من العلماء بإشراف صفي الدين المباركفوري. الرياض: دار السلام، ط2،1421 هـ.

[49] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين*. القاهرة: دار الحديث، د. ت .

[50] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: عالم الكتب، د. ت.

[51] عبد الحميد، علي عبد المنعم. "البر حسن الخلق". *الوعي الإسلامي*، ع47، ذو القعدة، 1388هـ ص13-17.

[52] الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. *سنن الدارمي*. بيروت: دار الفكر، د. ت .

[53] الشرباصي، أحمد عبده. "بين البر والإثم." *لواء الإسلام*، ع5، محرم،1383هـ، ص281-283.

[54] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *تهذيب مدارج السالكين*، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، د. ت.

[55] ماردیني، صلاح الدين . *التقوى*. بيروت: المكتب الإسلامي، 1400هـ .

[56] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. أسباب النزول. تحقيق: محي الدين محمد. بيروت: دار ابن زيدون، د.ت.

[57] الشوكاني، محمد علي. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. بيروت: دار المعرفة، د.ت .

[58] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ.
[59] حجازي، محمد محمود. *التفسير الواضح*، بيروت: دار الجيل، 1388هـ.
[60] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*، ضبطه: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، د. ت.
[61] أبو داود، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت .
[62] الصالحي، علي الحمد. *الضوء المنير على التفسير*،جمع من كتب الإمام ابن القيم. عنيزة: مؤسسة النور للطباعة، بالتعاون مع مكتبة دار السلام،الرياض: د. ت.

Benevolence in Quran and Its Effect on the Life of the Incumbents

Idris Hamid Mohammed Ali
Assistant Professor, Department of Islamic Culture, College of Education, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 18/8/1424H.; accepted for publication 4/1/1425H.)

Abstract. This research concluded to point out that benevolence is a creed, a faith, a sharia, a behavior, an act of worship, morals, a saying, a practice, spending, patience, fidelity, truthfulness and piety. It is an inclusive name of all the mentioned values which Allah loves.

If it is generalized, means all divine imperatives that Allah likes, hence it is interpreted as: faith, god-fearing, and righteous deeds.

The research confirmed that it is desirable in itself, as it embraces the upright servant, because it's multitude proceeds, attributes of good and constituents of religion in the present and the hereafter life.

The study explains its conception, indications, relationship with piety, Allah's naming himself with it, scopes, traits, status and rewards of the righteous.

The study ends with the impacts of benevolence in the temporal and the last life, and concludes with the main following results:

1- The idiom "Benevolence" is mentioned in Quran 20 times; Allah coupled it with piety in seven places in Quran, and preceded it in six of them.
2- Benevolence is a way that leads to paradise.
3- Long life can be realized by benevolence.
4- Felicity can be achivied by benevolence in the present and the last life, mainly: tranquility in the temporal world the and safeguarding against the hereafter torment.
5- It realizes Allah's love for his righteous servants, which leads them to a high rank in the hereafter.